كتاب: من روائع القرآن للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

دراسة وصفية تحليلية مقارنة

أ. فداء جُنبد شلاش*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين. أما بعد:

فقد منّ الله على هذه الأمة بأن جعل رسالتها خاتمة الرسائل، وجعل كتابها المعجزةَ الباقية إلى يوم الدين. وقد تكفّل الله تعالى بحفظ كتابه الكريم، وشرّف عباده المؤمنين برعاية هذه الأمانة، فحظي من علماء هذه الأمة بما لم يحظ به كتاب من قبل، فعني المفسرون بتفسيره وبيان معانيه، وكشف أوجه البلاغة والإعجاز الكامنة فيه من لدن النبي الكريم ﷺ حتى هذا اليوم.

وقد أُلفت قديما وحديثا كتب تهتم بعلومه المختلفة، ومن أشهرها في العصر الحديث كتاب: من روائع القرآن، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله. وقد منّ الله علي بدراسته دراسة وصفية تحليلية مقارنة، آملة أن تكون نافعة ومفيدة.

---

* كلية الشريعة، جامعة دمشق.

أهمية البحث وسبب اختياره

وقد اخترت هذا الكتاب بسبب شهرته الواسعة قبل قراءتي له، فأحببت أن تكون قراءتي على أسس علمية صحيحة لأزداد معرفة بهذا الجانب من العلوم الشرعية.

ولا ريب في أن لهذا العلم أهمية كبيرة في اطلاعنا على تاريخ القرآن منذ نزوله وحتى اكتمال تدوينه ونضج علومه. آملة أن يكون بحثي هذا لبنة جديدة في صرح هذا العلم، حيث عرض الكتاب أمام القارئين بأسلوب نقدي يسرد أبوابه ويذكر ما فيه من إيجابيات مشرقة، ويُلمح إلى ما يحتاجه -في نظري- من إضافات.

مشكلة البحث

إجمال المؤلِّف في كثير من المسائل التي ذكرها لكونها ليست محلا للبحث، الأمر الذي جعل مناقشتها أمرا صعبا لعدم وجود أدلة معتمدة يمكن المناقشة من خلالها.

على الرغم من متعة البحث في علوم القرآن إلا أنّ مسائله صعبة ومتشعبة، مما تطلّب مني جهدا مضاعفا ووقتا أطول لاستيعاب مسائله من جميع جوانبها ومناقشتها مناقشة علمية صحيحة

منهج البحث

اتبعت فيه المنهج التاريخي وذلك في ترجمة حياة المؤلِّف، ثم المنهج الاستقرائي حيث قمت باستقراء الكتاب استقراء كاملا، لتحديد المسائل اللازمة للدراسة، ثم الوصفي التحليلي لوصف الكتاب وبيان عمل المؤلف فيه ومناقشة المسائل الواردة في الكتاب وبيان ما لها وما عليها، ثم عرجت إلى المنهج المقارن وذلك من خلال مقارنة هذا الكتاب مع كتاب مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه للدكتور عدنان زرزور.

الدراسات السابقة

لم أجد -في حدود اطلاعي- دراسة سابقة تناولت هذا الكتاب بالبحث.

خطة البحث

قسمت بحثي بعد المقدمة إلى تمهيد وخاتمة بينهما أربعة فصول:

التمهيد: تناولت فيه تعريف علوم القرآن وفائدة دراستها.
الفصل الأول: قسمته إلى مبحثين:
الأوّل: يتناول ترجمة المؤلِّف.
الثاني: التعريف بالمؤلَّف، وهو مقسم إلى خمسة مطالب.
الفصل الثاني: يتناول الدراسة التحليلية لبعض المسائل التي استوقفتني في الكتاب وقد قسمته إلى أحد عشر مبحثا.
الفصل الثالث: يتناول الدراسة المقارنة لهذا الكتاب مع كتاب (مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه) للدكتور عدنان زرزور، وقد قسّمته إلى واحدٍ وعشرين مبحثا.
الفصل الرابع: وقد قسّمته إلى ثلاثة مباحث:
الأول: تأثر الكتاب بما قبله، وأثره بما بعده.
الثاني: الكتاب ما له وما عليه.
الثالث: الأخطاء الطباعية.
الخاتمة: وقد ضمّنتها نتائج البحث مع بعض المقترحات.

تمهيد

تعريف علوم القرآن

هو طوائف المعارف المتصلة بالقرآن سواء أكانت تصورات أم تصديقات[1].

1- مناهل العرفان: الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، ط: 1، 1415 هـ - 1995م، (23/1).

وقيل: مباحث كلية تتعلّق بالقرآن الكريم من عدة نواحٍ يمكن عدّ كل منها علما قائما بحد ذاته.

أول ظهور لهذا الاصطلاح بالمعنى المدون

ذكر الدكتور الزرقاني أنّه كان معروفا بين الكاتبين في علوم هذا الفن أنّ أول ظهور لهذا الاصطلاح (علوم القرآن) في القرن السابع الهجري. وعقب عليه قائلا: « لكني ظفرت في دار الكتب المصرية بكتاب لعلي بن سعيد بن إبراهيم الشهير بالحوفي المتوفى سنة 330 هـ اسمه (البرهان في علوم القرآن) ... إذا نستطيع أن نتقدم بتاريخ هذا الفن نحو ثلاثة قرون من الزمان أي إلى بداية القرن الرابع بدلا من القرن السابع »[2]

في حين أن أستاذنا الدكتور الشُّربجي[3] توصّل بعد بحثٍ إلى أنّ أوّل من ألّف فيه ابن الجوزي المتوفى عام 597هـ في كتابه (فنون الأفنان في علوم القرآن). أي إنّ أول ظهور للمصطلح بالمعنى المدوّن في القرن السادس الهجري. واستبعد كون الحوفي أول من ألف بهذا العلم لأنّ كتابه أشبه ما يكون بكتاب تفسير لا كتاب في علوم القرآن يدلّ عليه ضخامة حجمه فقال: « لأنّ كل من ابتدأ أمرا فإنّه يكون صغيرا ثمّ يكبر وقليلا ثم يكثر »[4].

فائدة دراسة علوم القرآن[5]

1. تساعد على دراسة القرآن الكريم وفهمه واستنباط الأحكام منه.
2. التسلّح بسلاح قوي ضد أعداء الإسلام الذين يثيرون الشبهات المختلفة لمحاربة هذا الدين.

2- المرجع السابق: (33/1).

3- محمد يوسف الشربجي، أستاذ التفسير وعلوم القرآن في كلية الشريعة جامعة دمشق.

4- مجلة جامعة دمشق: المجلد الثاني عشر، العدد الأول، 1996 م، ص153.

5- المدخل إلى دراسة القرآن الكريم: الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة، دار الجيل، بيروت، ط: 2، 1412هـ - 1993م، ص: 26.

3. الحصول على قدر كبير من العلوم والمعارف المتعلّقة بالشريعة الإسلامية خصوصا وبالدين الإسلامي عموما.

الفصل الأول

المبحث الأول ترجمة المؤلف[6]

اسمه

محمد سعيد رمضان البُوطي، أستاذ في العقيدة ومختلف علوم الشريعة.

مولده

ولد عام 1929م في قرية جيلكا التابعة لجزيرة بوطان (ابن عمر)[7].

رحلته العلمية

- هاجر مع والده المرحوم (ملاّ رمضان)[8] إلى دمشق وله من العمر أربع سنوات.
- أنهى دراسة الثانوية الشرعية في معهد التوجيه الإسلامي بدمشق.

6- موقع الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي على الإنترنت: www. Bouti. net وانظر أيضا إلى الصفحة الأولى من بعض مؤلفات الدكتور البوطي.

7- تقع جزيرة ابن عمر في إقليم الجزيرة الفراتية. ظهرت آثارها بالقرب من مدينة الموصل. وتشير المصادر إلى عدّة أسماء متقاربة لها: منها ابن عمر وسميت بذلك نسبة إلى بني عمر، وقيل منسوبة إلى يونس بن عمر أمير العراقيين، وقيل نسبة إلى رجل من أهل «برقعيد» بناها اسمه عبد العزيز بن عمر، وقيل نسبة إلى بني عمر (أوس وكامل)، وقيل بأنّها جزيرة بني عمر بن أوس التغلبي، وقيل اسمها جزيرة ابني عمارة، وعند ابن حجر أنّ اسمها جزيرة «ماردين». والراجح أنّها منسوبة إلى الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي الذي بناها عام 250هـ - 864م. تاريخ جزيرة ابن عمر منذ تأسيسها حتّى الفتح العثماني: د. محمد يونس عندور، دار الفكر اللبناني بيروت، لبنان، ط: 1، 1990م، ص 14-15-16.

8- اسمه الحقيقي رمضان. لكنه اشتهر بملا رمضان حتى أصبح الناس ينادونه بشيخ ملا. ولد عام 1888م في قرية جيلكا من أبوين كرديين اسم أبيه عمر واسم جده مراد. من شيوخه: الشيخ محمد سعيد سيدا، سيد محمد الفنذكي، الملا عبد السلام. هذا والدي: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط: 12، 1431هـ - 2010م، (13-15).

- التحق عام 1953م بكلية الشريعة في جامعة الأزهر، وحصل على شهادة العالمية منها عام 1955م.
- التحق عام 1956م بكلية اللغة العربية في جامعة الأزهر، ونال دبلوم التربية في نهاية هذا العام.
- عيّن معيدا في كلية الشريعة في جامعة دمشق عام 1960م، وأوفد إلى كلية الشريعة من جامعة الأزهر للحصول على الدكتوراه في أصول الشريعة الإسلامية وحصل على هذه الشهادة عام 1965م.

مناصبه العلمية

- دكتوراه في أصول الفقه والشريعة الإسلامية من جامعة الأزهر.
- تقلّب في المناصب العلمية والتربوية والإدارية في كلية الشريعة حتى شغل عمادتها.
- عضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة في عمّان.
- عضو في المجلس الأعلى لأكاديمية أكسفورد.

تلاميذه وشيوخه

لعلّ من أشهر شيوخه والده رحمه الله الشيخ ملا رمضان، ومن أشهر تلاميذه ابنه حفظه الله الدكتور محمد توفيق محمد سعيد رمضان البوطي.

وفاته

توفي المؤلِّف رحمه الله يوم الخميس الواقع في 21/ مارس/ 2013م الموافق لـ 9 جمادى الأول 1434، وذلك إثر تفجير في جامع الإيمان في منطقة المزرعة بدمشق.

مؤلفاته

له أكثر من سبعين مؤلفا ترجم بعضها إلى لغات أخرى، من أهمّها: مدخل إلى فهم الجذور، حرية الإنسان في ظل عبوديته لله، شرح الحكم العطائية، الجهاد في الإسلام، السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، كبرى اليقينيات الكونية، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، نقض أوهام المادية الجدلية، الإنسان مسير أم مخيّر. فقه السيرة النبوية، ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، المرأة

بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني، من روائع القرآن، لا يأتيه الباطل. وأخيرا دور الإسلام في السلام العالمي. إلى جانب مئات من المحاضرات والمقالات والدروس العلمية التي واظب عليها من عشرات السنين.

المبحث الثاني

المطلب الأوّل: الوصف الخارجي للكتاب

عنوان الكتاب: من روائع القرآن: تأملات علمية وأدبية في كتاب الله ﷻ

المؤلف: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

عدد الصفحات: 328. القياس: 17 × 24. تاريخ الطبعة: 2007م[9]

المطلب الثاني: سبب تأليف الكتاب[10]

بيّن المؤلِّف رحمه الله في مقدمة كتابه أنّ هذا الكتاب إنّما أُلِّف بداية لطلاب الأدب العربي، وبعد ذلك إلى هواة العربية، وكل من يُعنى بدراسة القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الغرض من تأليف الكتاب

ذكر المؤلِّف في التمهيد الأول[11] للكتاب أنّ الغرض من تأليفه توضيح ما ينطوي عليه القرآن الكريم من روعة البيان والإعجاز، ومدى تأثيره في مختلف العلوم.

ومن هنا نستنتج أن هذا الكتاب إنّما تناول القدر الذي يختص اللغة العربية وعلومها وآدابها أمّا ما يمتد وراء ذلك فليس معني هنا.

المطلب الرابع: خطة المؤلّف في كتابه

قسّم المؤلف رحمه الله كتابه بعد المقدمة والتمهيدين إلى ثلاثة أقسام كما

9- وهي الطبعة التي اعتمدتها في هذه الدراسة.

10- من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله ﷻ: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفارابي للمعارف، ط. الأخيرة، 1427هـ - 2007 هـ، ص 5.

11- من روائع القرآن: ص 13 وما بعدها.

ظهر في التمهيد الأوّل[12]:

القسم الأوّل: يتناول خلاصة لتاريخ القرآن وعلومه ويشمل:

1. القرآن: تعريفه وحقيقته.
2. نزول القرآن منجما والحكمة من ذلك.
3. أسباب النزول.
4. كيفية جمع القرآن وكتابته.
5. رسم القرآن.
6. الأحرف السبعة: خلاصة جامعة عنها.
7. القراءات والقرّاء: لمحة دراسية عنها.
8. المكي والمدني.
9. التفسير نشأته وتطوره ومذاهبه.
10. المبهم والمتشابه.

القسم الثاني: يتناول دراسة موجزة لمنهج القرآن الكريم وأسلوبه، ويشمل:

1. أسلوب القرآن الكريم: نظرة عامة فيه، ثمّ دراسة لخصائصه.
2. إعجاز القرآن: بيانه ودليله ووجوهه.
3. موضوعات القرآن الكريم وطريقة عرضه لها.
4. التصوير في القرآن.
5. الأمثال في القرآن.
6. القصة في القرآن: أغراضها ومنهجها.
7. المنهج التربوي في القرآن.
8. النزعة الإنسانية في القرآن.
9. فلسفة القرآن عن الإنسان والكون والحياة.
10. هل من الممكن ترجمة القرآن.

القسم الثالث: يتناول نماذج من النصوص القرآنية في بعض موضوعاته، متبوعة بشرح أدبي مركّز، يكون تطبيقا للدراسات النظرية التي تناولها القسم الثاني.

12- المرجع السابق: ص 15.

المطلب الخامس: مقارنة بين طبعات الكتاب

من خلال البحث تبيّن لي أنّ للكتاب خمس طبعات: الطبعة الأولى: عام 1968م. الطبعة الثانية: عام 1971م. الطبعة الثالثة: عام 1972م. الطبعة الرابعة: عام 1975م. الطبعة الخامسة: عام 2007م.

ولم يتسنّ لي الاطلاع إلا على الطبعتين الثالثة والخامسة، في حين تبيّن لي أنّ الطبعة الخامسة مطابقة للطبعة الرابعة، وذلك لأنّ المؤلِّف رحمه الله ذكر في الطبعة الخامسة نفس مقدمة الطبعة الرابعة هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الدار الطابعة للكتاب لم تطلق عليها اسم الطبعة الخامسة بل اكتفت بذكر كونها طبعة جديدة ومنقحة مع وضع سنة النشر وهي كما بيّنت سابقا: 2007م. والله أعلم.

أمّا ما يتعلّق بالإضافات والتعديلات بين الطبعات فسأذكر ما أوضحه الدكتور أوّلا في مقدماته، ومن ثمّ سأتكلم عن التغييرات الجزئية التي وقفت عليها أثناء دراسة الكتاب.

أولا: التعديلات التي نصّ عليها المؤلِّف في كتابه

نصّ المؤلّف في المقدّمة الثالثة للكتاب أنّه أضاف عليه مبحثا تحت عنوان (الأمثال في القرآن الكريم) فقال: « فقد شاء الله أن أقدم إلى القراء طبعة ثالثة من هذا الكتاب، بعد أن وفقني الله ﷻ فأدخلت عليه تهذيبا تناول متفرقات كثيرة من جمله وألفاظه، وألهمني فزدت فيه بحثا من أهم ما يتعلّق بآداب القرآن وعلومه، وهو: الأمثال في القرآن »[13].

ونصَّ في مقدمة الطبعة الرابعة على وجود إضافات وتعديلات في مبحث (الإعجاز في القرآن الكريم) فقال: « ولقد ساعدني التوفيق الإلهي على توسيع دائرة البحث في إعجاز القرآن من هذا الكتاب، بالقدر الذي سمح به الوقت وامتدّ إليه الجهد »[14].

13- من روائع القرآن: ص 9.

14- من روائع القرآن: ص 7.

ثانيا: التعديلات التي وقفت عليها أثناء البحث

جلُّ ما سأذكره هنا إنّما يخصّ الطبعتين الثالثة والخامسة مع ملاحظة أن الطبعة الرابعة موافقة -كما بينت سابقا- للطبعة الخامسة.

1. في مبحث التفسير (حقيقته، نشأته، مذاهبه وشروطه) أضاف المؤلِّف[15] عددا من السطور يتجاوز اثنين وعشرين سطرا، ومضمون هذه السطور يدور حول التفسير الإشاري والباطني والعلمي عند الذين لم يلتزموا بشروط التفسير، بدأه بقوله: « فالقرآن عند هؤلاء ليس أكثر من خادم لتأييد آرائهم ومذاهبهم وأخيلتهم »[16] إلى أن قال « والمهم أن تكون أيها القارئ على حذر من أن تسري إليك عدوى تأليه الأفكار والقناعات الذاتية فتكون بذلك ممن قال الله عنهم: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: 23] »[17]

2. في مبحث المبهم والمتشابه في القرآن أضاف الدكتور رحمه الله في الطبعة الخامسة رأي ابن تيمية وتشنيعه للخلف على ما ذهبوا إليه في آيات الصفات وسأعرض لطرفٍ من قوله قال: « ولقد شنّع ابن تيمية رحمه الله كثيرا على طريقة الخلف وعدّها جانحة جنوحاً حقيقيا عن مذهب السلف »[18] إلى أن قال: « فلماذا أخرج الكلمة -أي قوله تعالى: ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: 88]- من حقيقتها إلى المجاز؟ ولماذا يحرم عن علماء الخلف ما يراه مباحا له؟ ... بل أصر على أن يتأوّلها بالجهة والمكان!! »[19]

3. لم يقصر الدكتور رحمه الله التعديل على المتون وحسب بل تجاوز ذلك إلى الحواشي فمثلا في مبحث (القصة في القرآن الكريم) عند حديثه عن القيمة التاريخية للقصص في القرآن وما دفعه إلى الكتابة عنها رغم كونها من البديهيات قال: « لم أكن أتصوّر أني بحاجة إلى أن أبحث شيئا تحت عنوان:

15- موضع النقص في الطبعة الثالثة في الصحيفة رقم: 96.
16- من روائع القرآن ط2007م: ص 98.
17- المرجع السابق: ص 99.
18- المرجع السابق: ص 121.
19- المرجع السابق: ص 122. وموضع النقص في الطبعة الثالثة ص 119.

القيمة التاريخية لقصص القرآن ... إلى أن اطلعت على كلام في منتهى الغرابة والعجب جاء في كتاب: الأدب العربي الحديث من مقررات طلاب الباكالوريا الأدبية» ثمّ ذكر النص كما هو عليه في الطبعة الثالثة[20] دون أي تعليق في الحاشية. ثمّ في الطبعة الجديدة علّق عليه في الحاشية قائلا: «مما نحمد الله عليه أنّ هذا الكتاب أُلغي أخيرا واستبدل به غيره، واختفى منه هذا الغثاء، إلا أنّه لا يزال مغروسا في بعض الأذهان»[21] وكذلك الحال في حاشية الصفحة التابعة لهذه الصفحة، حيث بيّن الكاتب محل الإنكار على صاحب كتاب الأدب الحديث[22].

4. أما ما يتعلّق بالتغيير الذي طرأ على مبحث (إعجاز القرآن الكريم) فيتجلى في نواحٍ كثيرة منها:
   - عند حديثه عن دليل الإعجاز، عنون له المؤلِّف في الطبعة الثالثة بإجمال فقال: «دليل الإعجاز»[23] في حين أنّه استخدم في الطبعة الجديدة عنوانا أكثر دقة فقال: «الدليل على ثبوت الإعجاز في كتاب الله في الجملة»[24]
   - في الطبعة الثالثة قصر الإعجاز على الإعجاز البياني في حين أضاف في الطبعة اللاحقة الإعجاز التشريعي والإعجاز الغيبي
5. كان تخريج الآيات القرآنية في الطبعة الثالثة في الحاشية، في حين أنّه انتقل إلى المتن في الطبعة الخامسة.

هذه جملة من التعديلات التي أضيفت إلى الكتاب والتي أشار إليها الدكتور رحمه الله قائلا: «أمّا سائر البحوث الأخرى فقد زدت في كثير منها بالقدر الذي أسعفني الوقت، كما غيّرت في بعض منها بالمقدار الذي يقتضيه التنقيح أو

20- انظر من روائع القرآن ص 235.
21- من روائع القرآن 2007 م: ص 234.
22- المرجع السابق: انظر حاشية ص 235.
23- انظر ص 152.
24- انظر ص 151.

الإصلاح »[25]

الفصل الثاني:الدراسة التحليلية لبعض المسائل التي استوقفتني في الكتاب

المبحث الأول: القرآن: تعريفه، وحقيقته

إنَّ الكلام عن القرآن الكريم والتعريف بحقيقته من الأمور الرئيسية في الكتب التي تتناول دراسة أنواع علوم القرآن، فلا بدَّ أن يكون هذا الكلام كلاما جامعا وافيا مستوعبا لجميع النواحي أو أكثرها على أقل تقدير ولاسيما النواحي الرئيسية التي تعدُّ معرفتها من الأمور الضرورية لكلِّ قارئ. فكيف بالقارئ المبتدئ أو غير العارف بالدِّين الإسلامي؟! وقد جاء هذا المبحث مستوفيا للجزء الأكبر من هذه القيود. فها هو المؤلِّف رحمه الله عند تعريفه للقرآن الكريم يرسم الحدود الأساسية لهذا التعريف ويأتي على كلٍ منها بالشرح الموجز الواضح. وعند ذكره للشُّبه فإنّه يكتفي بذكر أهمها دونما إشارة إلى اسم صاحب الشبهة كيلا يكسبه مزية أو شهرة.

وقد بينت سابقا أنَّ الدكتور رحمه الله تعرَّض للتعريف الاصطلاحي لكل من القرآن والوحي. وما أريد إضافته هنا أنَّه لم يذكر التعريفات اللغوية لكلا اللفظين (القرآن – الوحي) بالرغم من كون الكتاب قد أُلِّف بداية وعلى وجه الخصوص لطلاب اللغة العربية؛ أي إنَّ معرفتهم للتعريف اللغوي يعد من الأمور الهامة لهم.

ثمَّ إنَّ المؤلِّف عند ذكره لقيود التعريف ولاسيما القيد الثاني (الموحى به) نوَّه بمدى أهميته وقال بأنّه سيقوم بدراسة (وافية – وإن كانت موجزة) لهذه الكلمة. وفعلاً قام المؤلف بدراسة موجزة ركَّز فيها على أهم الأمور المتعلِّقة بمسألة الوحي، إلا أنَّ هذه الدراسة –كما يبدو لي– تركت مسألة من المسائل التي تعد ذات أهمية وصلة مباشرة بالوحي وهي (أنواع الوحي).

25- المرجع السابق: ص 7.

المبحث الثاني: نزول القرآن منجما والحكمة من ذلك

جاء ذكر هذا المبحث مباشرة بعد التعريف بالقرآن الكريم وحقيقته وإن دلَّ ذلك على شيء فإنَّما يدل على ما ارتآه المؤلِّف من أهميته ودوره الأساسي في أنواع علوم القرآن.

وقد جاء -كما هي السمة العامة التي سنلاحظها في الكتاب لاحقا- مختصرا متضمِّنا الأمور البارزة والراجحة متجنِّبا ذكر الاختلافات بين العلماء والأدلَّة والبراهين لكل فريق منهم.

وكما كان الأمر في المبحث السابق لم يتعرَّض المؤلّف هنا لذكر التعريفات اللغوية بل حتى الاصطلاحية فقد أغفل ذكر التعريف اللغوي للتنجيم في حين أنَّه اكتفى بمجرد التمثيل للتعريف الاصطلاحي فقال «القرآن لم ينزل على رسول الله ﷺ جملة واحدة كما نزلت التوراة على سيدنا موسى، بل كان نزوله متدرجا فتارة تنزل عليه الآية أو الآيتان أو ثلاث آيات، وتارة تنزل عليه سورة بجملتها، كالفاتحة والمدَّثر، وهذا معنى أنَّه كان ينزل منجما»[26]. هـ.

ولم يتعرَّض لتعريف كل من الإنزال والتنزيل وبيان الفرق بينهما وربَّما كان تعريف هذين اللفظين من أهم التعريفات التي لا بد من ذكرها. فضلا عن أنَّه لم يتعرَّض لتنزُّلات القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا. والله أعلم.

والملاحظ في قول الدكتور البوطي: «وتارة تنزل عليه سورة بمجملها، كالفاتحة والمدَّثِّر». أنَّه عدَّ سورة المدّثر مما نزل جملة واحدة على رسول الله ﷺ. وهنا لا بد من وقفة لمناقشة هذا القول.

فقد ورد في صحيح البخاري[27] ومسلم[28] بشأن سورة المدّثر أنَّ الذي نزل منها بدايةً هو من أولها إلى قوله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: 5] أي نزل منها خمس آيات فقط فلم تنزل كلها دفعة واحدة.

26- من روائع القرآن: ص 35.

27- كتاب بدء الوحي، رقم الحديث: 3، (1/14).

28- كتاب الإيمان، باب بدء الوحي، رقم الحديث: 255، ص 89.

ومما يؤكد ذلك أنّها « تحدِّثنا عن مرحلة لاحقة احتدم فيها الجدل بين الحق والباطل، وعن المعارضة الشرسة التي حمل لواءها أولئك الكفّار الخصمون الألداء، وغير ذلك مما لم يكن قد حصل بعد »[29]

ولابد من الإشارة إلى أنَّ المؤلِّف لم يفرد بحثا خاصا يتناول فيه أوَّل ما نزل من القرآن وآخر ما نزل منه بل بالإشارة إلى هذا الموضوع في هذا المبحث. إلا أنَّ هذه الإشارة كان فيها من الاختصار ما فيها وكانت -كما يبدو لي- بحاجة إلى مزيد من التوضيح والتدليل بالأدلة والبراهين الصحيحة، حيث اكتفى بذكر الراجح من أقوال العلماء فيما يتعلَّق بآخر ما نزل، راجعا في ذلك -كما يبدو لي- إلى كتاب مناهل العرفان الذي بيَّن هذا الترجيح أيضا معللاً ذلك بأمرين وسأذكر النَّص حرفيا حيث يقول المؤلف: « أحدهما: ما تحمله هذه الآية في طيَّاتها من إشارة إلى ختام الوحي والدين، بسبب ما تحثَّ عليه من استعدادا ليوم الميعاد، وما تنوه به من الرجوع إلى الله تعالى، واستيفاء الجزاء العادل من غير غبن أو ظلم، وذلك كله أنسب في الختام من آيات الأحكام المذكورة في سياقها.

الثاني: التنصيص في رواية أبي حاتم السابقة أنَّ النبي عاش بعد نزولها تسع ليال فقط، ولم تظفر الآيات الأخرى بنص مثله »[30]. هـ

والذي دفعني إلى القول بأنَّ الدكتور رحمه الله اعتمد في قوله المذكور سابقا على هذا الكتاب، أنَّه في الطبعة الثالثة لكتابه قد أشار في الحاشية إلى هذا المرجع[31].

المبحث الثالث: أسباب النزول

بدأ المؤلف رحمه الله هذا المبحث بالربط بينه وبين المبحث السابق وكأنَّه أراد

29- انظر إتقان البرهان في علوم القرآن: الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس دار النفائس ط: 2، 1430هـ - 2009م. (120/1)

30- مناهل العرفان (82/1).

31- من روائع القرآن. الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الفارابي دمشق، سورية، ط: 3، شعبان 1392هـ - 1972م. ص 37.

بهذا أن يشير إلى مدى ترابط علوم القرآن بعضها ببعض وإلى تكاملها. إضافة إلى أنَّه ذكر خطة المبحث وأهم المسائل التي سيتعرَّض لذكرها فكان ذلك من الأمور التي تُسهِّل على القارئ معرفة ما يتضمَّنه المبحث والأمور التي سيتطرق إليها أثناء قراءته. وهذا من الأمور الجيدة التي قلَّما يتعرَّض الباحثون للقيام بها في كتبهم.

وكما هو الحال في المباحث السابقة لم يتعرَّض المؤلِّف رحمه الله لذكر التعاريف اللغوية أو الاصطلاحية رغم كون التعريف من الأمور المهمة التي يجب على المؤلِّف ذكرها بداية قبل أي مبحث من المباحث، وهذا ما عهدناه في كتب علوم القرآن المختلفة.

وأريد أن أقف عند المسألة الثانية (أمثلة لأسباب النزول) فالذي تبيَّن لي أنَّ المؤلِّف تناول أربع آيات بالدِّراسة من حيث سبب النزول. إلا أنَّ سبباً من الأسباب المذكورة لم يصح وهو السبب الأوَّل. قال: «روى مقاتل والكلبي أنَّ رجلا من غطفان كان عنده مال كثير لابن أخ له يتيم، فلمَّا بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمُّه فترافعا إلى النبي ﷺ فنزلت الآية: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا﴾ [النساء: 2]» [32].

فالرواية عن الكلبي ومقاتل مردودة لأنهما من المطعون فيهما عند المحدِّثين. أمَّا الكلبي فقد قال الإمام أحمد عن تفسيره «كذب» وقال ابن معين «ليس بشيء»[33]. وأمَّا مقاتل فقد قال فيه النَّسائي: «كذَّاب». وأبو داوود: «تركوا حديثه». وقال أبن حبَّان: «كان يأخذ عن اليهود علم القرآن الذي يوافق كتابهم، وكان مشبها الرب بالمخلوقين، وكان يكذب في حديثه»[34].

32- من روائع القرآن: 42.

33- كنيته أبو النضر من أهل الكوفة، سبئيا من أصحاب عبدالله بن سبأ الذين يقولون إنَّ علياً لم يمت. المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين: محمد بن حبَّان بن أبي حاتم التميمي ت: 253هـ، دار المعرفة بيروت، لبنان، د. ط، د. ت، (253/2).

34- هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي أبو الحسن البلخي الخراساني المفسِّر. روى عن الضحاك ومجاهد وعطاء وغيرهم. روى عنه: ابن عيينة والوليد بن مسلم والمحاربي وغيرهم. ت 150 هـ. تهذيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال شمس الدين أبي عبدالله محمد بن =

وعند حديث الدكتور رحمه الله عن أهمية أسباب النزول أورد مثالا لذلك سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 115] قال: «وسببها ما رواه الواحدي في كتاب أسباب النزول، عن جابر بن عبد الله أنَّ رسول الله ﷺ بعث سرية فأصابتهم ظلمة، فلم يعرفوا القبلة، فاتَّجه كل واحد منهم ناحية حسب ظنه واجتهاده، فلمَّا قفلوا عائدين سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فسكت، فأنزل الله الآية»[35].

وقد قال السيوطي[36] عن هذا الحديث: «أخرجه الترمذي وضعفه من حديث عامر بن ربيعة قال: كنَّا في سفرة في ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة، فصلى كل رجل منَّا على ناحيته فلمَّا أصبحنا ذكر كل واحد منَّا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت. وأخرج الدارقطني نحوه من حديث جابر بسند ضعيف أيضا».

وكلا السببين اعتمد المؤلف نقلهما عن كتاب (أسباب النزول) للواحدي، وهذا الكتاب كما قال الدكتور فضل حسن عبَّاس «لم يستوعب النزول فإنَّ فيه أحاديث ضعيفة وأمورا أخرى»[37].

وقد كان في التدليل بأسباب النزول الصحيحة -وهي كثيرة- مغنى عن الاستشهاد بالضعيف منها.

المبحث الرابع: كيفية جمع القرآن وكتابته والأدوار التي مرت على ذلك

أحسب -والله أعلم- أنَّ المؤلِّف أتى على هذا الموضوع من جميع جوانبه تقريبا باستثناء التعريفات اللغوية والاصطلاحية. حتى إنَّه تكلم عن مسألة لا تدخل تحت هذا الموضوع إلا أنَّها ذات صلة معه وهي «ترتيب الآيات والسور في القرآن الكريم» وهنا سأقف على ما ذكره الدكتور رحمه الله.

=

احمد بن عثمان بن قيماز الشهير بالذهبي. ت 748هـ تحقيق: غنيم عبّاس. أيمن سلامة، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط: 1، 1425هـ - 2004 م، (78/9).

35- من روائع القرآن: ص: 44.

36- إتقان البرهان في علوم القرآن (92/1).

37- المرجع السابق: (302/1).

قال « تم إجماع العلماء ومختلف المؤرخين والباحثين على أنَّ ترتيب آيات القرآن الكريم عمل توقيفي من قبل الله عزّ وجل». ثم قال: « وما يقال عن ترتيب الآيات، هو يقال أيضا في ترتيب السور »[38].

فقد نصَّ على أنَّ ترتيب الآيات توقيفي وهذا لا خلاف فيه بين العلماء، إلا أنّه ذكر فيما بعد ما يدل على أن ترتيب السور مجمع عليه بين العلماء على أنّه أمر توقيفي أيضاً. وهنا لا بد من ذكر اختلاف العلماء في هذه المسألة على ثلاثة مذاهب[39]:

المذهب الأول: أن ترتيب السور أمر اجتهادي (توفيقي) وإلى ذلك ذهب جمهور العلماء ومنهم الإمام مالك، وأبو بكر بن الطيب في أحد قوليه، وابن الفارس.

المذهب الثاني: أنه توقيفي لا اجتهاد فيه، وممن ذهب إلى ذلك الإمام أبو بكر في القول الثاني له.

المذهب الثالث: أن منه التوقيفي ومنه التوفيقي، ومن القائلين بذلك أبو محمد بن عطية حيث قال: « كثيرا من السور علم ترتيبها على حياة الرسول ﷺ كالسبع الطوال والحواميم والمفصل، وما سوى ذلك يمكن أن يكون فوض الأمر فيه إلى الأمة ».

وبعد عرض آراء العلماء واختلافهم في هذه المسألة، وما قيل من أنّ الجمهور ذهبوا إلى القول الأول أي أن الترتيب (اجتهادي) يظهر عدم وجود إجماع حول هذه المسألة خلافا لما ذهب إليه الدكتور. والله أعلم

المبحث الخامس: رسم القرآن الكريم والمراحل التحسينية التي تدرج فيها

القارئ لهذا المبحث يلاحظ أنَّ الدكتور رحمه الله تعالى ركز فيه على

38- من روائع القرآن: ص 48.

39- البرهان في علوم القرآن (257/1)، الإتقان في علوم القرآن: العلامة الحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، د. ط، 1407هـ - 1987م، (176/1)، مناهل العرفان (287/1).

موضوع واحد هو (التنقيط والشكل) للمصحف والمراحل التي مرَّ بها، إضافة إلى العوامل التي ساعدت العرب على النطق السليم حيث ابتدأ بها الكلام ومهد للبحث من خلالها.

فقد وفّى المؤلف هذا الجانب من عنوان البحث وهو (المراحل التحسينية) لكنّه أغفل الأبحاث المتعلقة بالجانب الآخر من العنوان وهو (رسم القرآن الكريم) مثل: تعريف الرسم، مزايا الرسم العثماني، الجهات التي خالف فيها الرسم العثماني الرسم القياسي أهمية الرسم العثماني، وأخيراً حكم مخالفة الرسم العثماني وإن كان قد أشار إليه مجرد إشارة سريعة.

المبحث السادس: علوم القرآن (تمهيد)

من خلال دراستي لهذا المبحث تبيّن لي أنّ المؤلف -رغم إيجازه- قد ضمنه أهم المسائل وأكثرها تعلقا بالموضوع، بيد أنّه -كما هو الحال في معظم المباحث- لم يضمنه التعاريف اللغوية والاصطلاحية للفظتي (العلوم - القرآن) وكذلك لم يتعرض للتعريف الإضافي بأي ذكر، رغم كونه -كما يبدو لي- من الأمور المهمة التي تتصل اتصالا مباشرا وأوليا في هذا المبحث.

ولي وقفة متواضعة عند المسألة الثالثة (متى ظهر هذا الاصطلاح) فالمؤلِّف عندما تكلم عن ظهور هذا الاصطلاح -علوم القرآن- قال: «أما إطلاق لفظ (علوم القرآن) اصطلاحا على هذه العلوم القرآنية فإنّ البعض يحسب أنّ الإمام الشافعي هو أول من سير هذا الاصطلاح»[40]. ثمّ ذكر بعد ذلك قصته مع الرشيد وما اتهم فيه من التشيع. وبعد ذلك قال: «وأغلب الظن أنّ الكلمة أصبحت اصطلاحا، بتداول المؤلفين لها، وجعلها اسما على مباحثهم المتعلقة بالقرآن. وأياً كان فإنّ الخطب في ذلك يسير وهو مالا يتعلق لنا به غرض كبير»[41].

فالدكتور رحمه الله قد جعل في المسألة قولين متعارضين مشيرا إلى أنّه تعارض خطبه يسير، والواقع أنّ القول الأوّل يشير إلى الاصطلاح الذي أنشأه

40- من روائع القرآن: ص 83.
41- المرجع السابق: ص 84.

الشافعي قبل التدوين، والقول الثاني يشير إلى أنه اصطلاح تداوله المؤلفون بعد التدوين، فلا تعارض بين القولين، وبالتالي لا خطب ينتج عنهما لأنّ القولين متكاملان يبينان وحدة التسمية والاصطلاح قبل التدوين وبعده.

أي أنّ القول الأول الذي نقلته سابقا عن الدكتور البوطي وهو قوله: «أما إطلاق لفظ (علوم القرآن) اصطلاحا على هذه العلوم القرآنية ... الخ» إنما ينص على أول ظهور لهذا المصطلح في عقول الناس وخواطرهم وقلوبهم وعلى ألسنتهم. في حين أنّ القول الثاني -وهو الذي مال إليه الدكتور- أي قوله: «وأغلب الظن أنّ الكلمة أصبحت اصطلاحا، بتداول المؤلفين لها ... الخ» ينص على ظهور هذا المصطلح بالمعنى المدون.

والجدير بالذكر أنّ الخلاف بين العلماء قد وقع في نسبة هذا الاصطلاح في عصر التدوين فمنهم من رجح نسبته إلى الحوفي ومنهم من رجح غيره. ولم يتعرض الدكتور البوطي لهذا الخلاف[42]. والله أعلم.

المبحث السابع: التفسير: حقيقته، نشأته وتطوره، مذاهبه وشروطه

أتى المؤلف على جميع الموضوعات المتضمنة له بشمولية واختصار وأحاط تقريبا بكل ماله صلة بالموضوع. لكن لم يتعرّض لذكر التعريف اللغوي للتفسير.

ولم يرتب المؤلف الأعلام المفسرين من الصحابة والتابعين ﷺ ومن جاء بعدهم بحسب الترتيب الزمني فمثلا نجده يذكر مجاهد بن جبر المتوفى سنة 103هـ وبعده سعيد بن جبير المتوفى عام 94 هـ، ثمّ عكرمة المتوفى 105 هـ[43]، وهكذا الحال في المواضع اللاحقة لهذا الموطن.

وعند حديث المؤلف عن التفسير الإشاري، ظهر من كلامه والله أعلم رفضه

42- راجع مناهل العرفان (32/1، 33). والمدخل إلى دراسة القرآن الكريم: ص: 34. مجلة جامعة دمشق: د. محمد يوسف الشربجي، المجلد الثاني عشر، العدد الأول، 1996 م، ص 154-155.

43- من روائع القرآن: ص 90.

لهذا النوع من التفسير فقال: «ومثله -أي التفسير العلمي- ما يسمى بالتفسير الإشاري[44] أو الباطني[45] الذي ينتجه بعض الفرق الباطنية أو المنحرفون من المتصوفة، ويسير وراءهم في ذلك طائفة من الناس، هان عليهم القرآن وفرغت قلوبهم من الشعور بجلاله وهيبته، فاقتحموا إليه بالتفسير والتأويل طبقا لما تهواه أنفسهم وتستدعيه عصبياتهم وأخيلتهم، وهم عن الشروط والضوابط التي ذكرناها، معرضون وغافلون»[46]. فقد أبدى رأيه في هذه الأنواع من التفسير دون التعريف بها وإظهار الفروق فيما بينها، رغم كون ذلك ضروريا ليطلع القارئ عليها، لاسيما وأنّ هذا الكتاب كان بداية للطلبة الجامعيين غير المختصين بالعلوم الشرعية، ثمّ إنّه أصبح كتابا يتداوله عامة الناس فيما بينهم للتعرّف على علوم القرآن المختلفة. والله أعلم[47].

المبحث الثامن: المكي والمدني: تعريف كل منهما، خصائص كل منهما، الفائدة من معرفة ذلك

تناول الدكتور رحمه الله هذا الموضوع من جميع جوانبه تقريبا، غير أنّه لم يتناول شبهات المستشرقين حول هذا الموضوع.

ثمّ إنّ الدكتور رحمه الله يرى بوجود آيات مكية في السور المدنيّة وهذا ما

44- التفسير الإشاري: هو تفسير القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضا. انظر مناهل العرفان (66/2).

45- التفسير الباطني: نسبة إلى الباطنية وهم فرق متعددة منهم القرامطة والإسماعيلية والسبعية، قالوا للقرآن ظاهر وباطن والمراد منه ظاهره دون باطنه. انظر مناهل العرفان (63/2).

46- من روائع القرآن: ص 98.

47- الفرق بين التفسير الباطني والإشاري أنّ أصحاب التفسير الإشاري لا يمنعون الظاهر بل يقولون به أولا وبداية، خلافا للباطنية الذين يقولون أن الظاهر غير مراد أصلا في حين أن الباطن هو المراد. معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني: الدكتور عبد القادر محمد الحسين، تقديم الدكتور علي جمعة، دار الغوثاني، دمشق، ط: 1، 1428هـ ت 2008م، ص423. ولا بدّ من التنبيه إلى أنّ التفسير الإشاري منه ما هو موافق لشروط التفسير ومنه ما هو مخالف لها، ولعلّ الدكتور رحمه الله أراد النوع الثاني. والله أعلم.

صرّح به عند قوله: « وقد تجد سوراً كل آياتها مدنية إلا بعض آيات منها فهي مكية كسورة الأنفال والتوبة » [48]. فهو موافق بذلك ما ذهب إليه الإمام السيوطي، وقد مثّل الدكتور لذلك بسورتين (براءة، الأنفال). وسأقوم هنا بمناقشة ما ذهب إليه الدكتور:

أمّا سورة براءة فقد قال العلماء إنها مدنية كلها واستثنوا من ذلك قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة: 128-129]. ومنهم من استثنى قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: 113] [49]. وسأقوم بعون الله بمناقشة كلا القولين:

يمكن الرد على كلا القولين بداية بما روي في صحيح البخاري عن البراء ﷺ أنه قال: « آخر سورة نَزلت كاملة براءة وآخر آية نزلت خاتمة سورة النِساء ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾ [النساء: 176] » [50] وكذلك قوله ﷺ « آخر سورة نزلت براءة وآخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ ﴾ » [51].

وأما القول باستثناء الآية 128، 129 من سورة التوبة فقد ورد في كلام الإمام السيوطي [52] ما يدل على استبعاد هذا القول معللا لذلك بما روي عنه أنّها من آخر ما نزل من القرآن الكريم، وقد جاء في المستدرك على الصحيحين ما يؤيد ذلك حيث روي عن أبي بن كعب ﷺ قال: آخر ما نزل من القرآن ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ

48- من روائع القرآن: ص 102.

49- البرهان (202/1). الإتقان (39/1)

50- صحيح بخاري، كتاب المغازي، باب حج أبي بكر بالناس سنة تسع، رقم الحديث: 4364، (166/3).

51- المرجع السابق، كتاب التفسير، باب قوله تعالى (يستفتونك)، رقم الحديث: 4605، (222/3).

52- الإتقان: (39/1).

رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[53]. وهذا يدل على كون هذه السورة مدنية. والله أعلم.

هذا ما يتعلّق بسورة براءة أمّا سورة الأنفال فقد روي عن العلماء أنهم استثنوا قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: 30] وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: 64] وردّ الدكتور فضل رحمه الله هذه الأقوال لكونها لا تتناسب مع السياق فقال: «وهو استثناء يرده الواقع والمنطق والسياق، إذ الآية الأولى امتنان على النبي ﷺ والمؤمنين، ودليل هذا تصديرها بـ (إذ) وهو ظرف لما مضى من الزمان، وكذلك الآية الثانية امتنان من الله تعالى على النبي ﷺ، فالله سبحانه وتعالى حسبه ونصيره على أعدائه، والمؤمنون كذلك حسبهم الله»[54].

وبذلك يظهر -والله أعلم- عدم وجود آيات مكية في السور المدنية وهذا ما أكّده الدكتور حسن فضل حيث قال: «نحن مع الحافظ رحمه الله حيث قال (إنّ الآيات المكية في السور المدنية أمر نادر) والذي يظهر لي أنّه شيء لا وجود له، فلا يعقل أن تنزل الآية في مكة المكرمة، وأن تبقى سنين طويلة لا مكان لها إلى أن تنزل السورة في المدينة المنورة، ثمّ توضع تلك الآيات، أو الآية، أو الآيتان في تلك السورة»[55].

المبحث التاسع: المبهم والمتشابه في القرآن

تناول الدكتور رحمه الله جميع المسائل التي يمكن أن يتضمّنها هذا المبحث، والتي لها صلة قريبة أو بعيدة باللغة العربية، ولخّصها تلخيصا لا يخل بالمعنى والمضمون ولا ينقص من الفائدة العلمية التي يجب أن يحتويها هذا المبحث.

53- المستدرك على الصحيحين: كتاب التفسير، باب تفسير سورة التوبة، رقم الحديث: 3355، (401/2).

54- إتقان البرهان في علوم القرآن: (390/1).

55- المرجع السابق (389/1).

واتبع رحمه الله تقسيما ما وجدته عند كثير ممن ألف في علوم القرآن[56]، فقد فرّق بين المبهم والمتشابه فأسقط الأمثلة التي ذكرها العلماء في قسم المتشابه على كل من المبهم والمتشابه وهذا التقسيم الدقيق، إن دلّ على شيء فإنّما يدل على نظرة أصولية في تبويب الأمور والمسائل على نحو يؤدي إلى الفصل حتّى بين الأمور الدقيقة، وقد علّل هذا التقسيم في التمهيد حيث قال: « إذ إنّه إذا صح إدخال بعض أنواع المبهم -مثل فواتح السور- في المتشابه فهناك أنواع أخرى منه لا تدخل فيه ولا يمكن أن تعتبر منه، كتلك الأنواع التي سنتحدث عنها »[57]. وقد رجح أن يكون المقصود بالمتشابه « ما احتمل وجهين أو وجوها في المعنى دون وجود ما يعين واحدا منها تعيينا ظاهرا أو قطعيا »[58].

وكما هو الحال في جميع الكتاب، لم يتعرّض الدكتور لتعريف كل من المحكم والمبهم والمتشابه تعريفا لغويا إنما اقتصر على التعريف الاصطلاحي لها، وإن كان يبدو لي ضرورة ذكر التعريفات اللغوية في هذا المبحث لما له من أهمية واسعة، والله أعلم[59].

ويظهر لي -والله أعلم- تفرد الدكتور البوطي بذكر رأي ابن تيمية في مسألة إنكاره على الخلف لما قاموا به من استعمال الألفاظ القرآنية في غير حقيقتها وتأويل لآيات الصفات، ولم يكتف الدكتور رحمه الله بذكر رأي الإمام ابن تيمية

56- من الكتب التي رجعت إليها: مناهل العرفان للزرقاني، مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، ط: 5، 1968م، مباحث في علوم القرآن لمنّاع القطان، مكتبة وهبة، ط: 11، 2000م، المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة، وغيرها من الكتب.

57- من روائع القرآن: ص 109.

58- المرجع السابق.

59- وعندي تساؤل حول الأمثلة التي ذكرها الدكتور حفظه الله في قسم المتشابه، وبالتحديد عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: 42] حيث أدرج المؤلف هذه الآية على أنها مثال للنوع الأول من المتشابهات، رغم كونها داخلة في النوع الثاني وهو ما يتعلّق بآيات الصفات، ولم استطيع معرفة المعيار الذي تبعه الدكتور في إدخال بعض آيات الصفات في النوع الثاني دون بعضها الآخر إذ إنه قال: « وينطبق على هذا النوع -النوع الثاني- بعض آيات الصفات » المرجع السابق: ص 120.

وحسب بل تعدّى ذلك إلى مناقشته والرد عليه من جنس قوله، وسأنقل النص كاملا لأهمية الموضوع قال: « والعجيب أنّ ابن تيمية بعد كل هذا التشنيع -أي إنكاره على الخلف لما قاموا به- يتأوّل (الوجه) في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: 88] بالجهة، ويقول: (إنّ معنى الآية كل شيء هالك إلا ما أريد به جهة الله)، فلماذا أخرج الكلمة من حقيقتها إلى المجاز؟ ولماذا يحرم على علماء الخلف ما يراه مباحا له؟ وليته إذ تأوّل على خلاف مبدئه ومذهبه فسّرها بالذات كما فعل جمهور المفسرين بل أصرّ على أن يتأوّلها بالجهة والمكان »[60].

المبحث العاشر: القراءات والقرّاء: لمحة دراسية سريعة في ذلك

على الرغم من اختصار المؤلف في هذا المبحث بيد أنّه أحاط بجميع جوانب هذا الموضوع، وكما هو الحال في الكتاب اقتصر الدكتور البوطي على ذكر التعريفات الاصطلاحية ولم يتعرّض لذكر التعريفات اللغوية.

وأريد أن أعقب على أمرين وردا في هذا المبحث:

الأوّل: هو سنة وفاة يعقوب بن إسحاق الحضرمي[61]، فقد نصّ المؤلّف رحمه الله على أنّ سنة الوفاة هي خمس وثمانون ومئة، والصحيح -والله أعلم- أنّه توفي سنة خمس ومئتين كما ظهر لي في كتاب معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار للإمام الذهبي[62] وكتاب شذرات الذهب لابن العماد[63] وغيرهما من الكتب.

الثاني: عند كلام المؤلف عن منشأ القراءات، أحال في الحاشية إلى موضع سابق في الكتاب وهو الصحيفة رقم 59، وعند الرجوع إلى هذه الصحيفة لم أجد فيها

60- من روائع القرآن: ص 122. تنبيه: هذه المسألة من الإضافات التي زادها المؤلف على كتابه في الطبعة الأخيرة.

61- هو أبو محمد بن إسحاق بن زيد بن عبدالله ابن أبي اسحاق مولى الحضرميين مقرئ البصرة، قرأ على أبي المنذر وسمع من الزيّات، قرأ عليه روح بن عبد المؤمن وجماعة آخرون. معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار (328/1).

62- انظر (331/1).

63- انظر (29/3).

شيئا يتعلّق بموضوع القراءات، وأحسب المؤلف والله أعلم أراد الإشارة إلى صحيفة رقم 76 و77 و78 إذ إن فيها ما يدل على هذا الموضوع والله أعلم[64].

المبحث الحادي عشر: إعجاز القرآن: تعريفه، وجوهه، دليله، مظاهره

تكلّم الدكتور في هذا المبحث عن أمور متعددة وأحاط -كما يبدو لي- بجميع جوانب الموضوع لاسيما ما يتعلّق منها باللغة العربية، ليس هذا وحسب بل أحسب والله أعلم أنّه أتى بأمور وآراء جديدة تبيّن لي من خلال الاستقراء في عدد من الكتب التي تكلمت في هذا الموضوع أنّ أحدا لم يأت بها من قبل وهي:

1. بعد أن تكلّم المؤلف عن معنى كون القرآن معجزا، وبيّن القول الأوّل الذي ذهب إليه الجمهور وهو: أنّ القرآن سما في علوه إلى شأو بعيد بحيث تعجز القدرة البشرية عن الإتيان بمثله، ثمّ عرّف بالقول الثاني وهو الصرفة التي ذهب إليها النظّام. وبيّن بعد القول الثاني من وجوه عديدة ذكرها. عاد بعد كل ذلك يذكر تعقيبا على قول النظّام أحسب أنّه انفرد بذكره بين العلماء وسأنقله بنصه حفاظا على المعنى، قال: « ومع ذلك فإنّ تفسير إعجاز القرآن كما يراه النظام، هو في الحقيقة أقعد في باب الإعجاز وأدعى إلى معرفة أنّه كلام الله ﷻ، إذ العجز عن الإتيان بالشيء المستطاع أعجب من العجز عن الإتيان بالأمر الرفيع الذي لا يدرك ولا يستطاع لكن المنطق هو الذي يتجافى عن رأيه وعن تحليله. هـ»[65]
2. أدرج المؤلف الإعجاز العلمي في القرآن الكريم تحت الإعجاز الغيبي فقال: « لعلك تلاحظ أن ما يسمى عند بعضهم بالإعجاز العلمي يندرج تحت الإعجاز الغيبي، لأنّ الآيات التي تتضمّن حقائق علمية صدقت عليها موازين العلوم والاكتشافات الحديثة، تتضمَن حقائق غيبية في الوقت ذاته »[66].

ولعل الصواب أن الإعجاز الغيبي هو الذي يندرج تحت الإعجاز العلمي؛

64- هذه الإحالة موجودة بنفس الرقم في الطبعة القديمة.
65- من روائع القرآن: ص 151.
66- المرجع السبق: ص 180.

لأنّ الإعجاز العلمي يحمل غيبا ينكشف كل زمن مع تقدم العلوم. وقد بات من المعلوم الآن أن الإعجاز العلمي شيء مستقل عن الإعجاز الغيبي في القرآن.

3. عند تكلمه عن الإعجاز التشريعي تناوله من زاوية أخرى لم أجد -على حدّ علمي- أحدا من الكتّاب تناوله من هذه الزاوية، حيث إنّهم تناولوا الإعجاز التشريعي من خلال بيان أنّه شامل لجميع نواحي الحياة وأنّ علماء القانون لا غنى لهم عنه، في حين أنّ الدكتور رحمه تكلّم عن مكمن الإعجاز التشريعي، وقد ذكرت موجزا عنه في موضع سابق فلا حاجة لإعادته[67]

4. عند ذكره لوجوه الإعجاز القرآني ذكر وجها جديدا هو «مظهر جلال الربوبية» وقد أشار إلى ذلك قائلا: «لم أجد من فصّل القول في هذا الجانب من الإعجاز القرآني على الرغم من أنّه أبرز ما يظهر حقيقة الإعجاز القرآني»[68]

هذا ما يتعلّق بالإضافات الجديدة التي أضافها الدكتور في هذا المبحث.

ولي وقفتان مع المؤلّف:

الأولى: هي أنّ المؤلف لم يتعرّض في هذا المبحث لذكر أي تعريف لغوي بالرغم من كون هذا المبحث ذا صلة أساسية بعلوم العربية.

الثانية: عند تكلّم الدكتور عن «الإعجاز بالغيبيات» قسّمه إلى ثلاثة أقسام:

1. أحداث ستقع في زمن مقبل.
2. مصائر أشخاص بأعيانهم.
3. نصوص تتضمن حقائق كونية ثابتة.

وضرب لكل نوع عددا من الأمثلة، إلا أنّ أحد الأمثلة المذكورة وهي ما يتعلّق بمصير اليهود[69] إلى يوم القيامة أدرجه تحت القسم الثاني بعد المثالين اللذين ذكرهما وهما مصير أبي لهب ومصير الوليد بن المغيرة، والذي يبدو لي -

67- انظر ص: 43، وانظر ما قاله الدكتور في هذه المسألة في كتابه ص 180 وما بعدها.
68- من روائع القرآن: ص 183.
69- المرجع السابق: ص 177- 178.

والله أعلم- أنّ هذا المثال يندرج تحت القسم الأوّل أي مع مصير الروم الذي أخبر عنه الله تعالى في كتابه.

الفصل الثالث: الدراسة المقارنة مع كتاب (مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه) للدكتور عدنان زرزور

المبحث الأول: الغرض من تأليف الكتاب

أولا: من روائع القرآن: ألّف الدكتور البوطي كتابه بداية لطلاب الأدب العربي، وبعد ذلك لكل من يُعنى بدراسة القرآن الكريم[70].

ثانيا: مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: ألّف الدكتور عدنان زرزور[71] كتابه لطلاب التفسير، والأدب العربي، وكل من يرغب بالاطلاع عليه من الدارسين والباحثين[72].

وبذلك نلاحظ أنّ كلا الكاتبين قد ألّف كتابه بداية لطلبة العلم الجامعي، ثمّ لكل من أراد أن يطّلع على علوم القرآن المختلفة.

المبحث الثاني: القرآن الكريم تاريخه وأثره في اللغة العربية

أولا: تاريخ القرآن

استخدم الدكتور البوطي رحمه الله تسمية «تاريخ القرآن»، في حين أنّ الدكتور عدنان زرزور استخدم تسمية «النص القرآني وتاريخ توثيقه». ولا بدّ هنا من إيضاح وجهة نظر كلا المؤلفين في هذه التسمية وتعليله لها.

70- من روائع القرآن: ص 5.

71- عدنان محمد زرزور: من مواليد مدينة دمشق، 1939م، عمل استاذا في كلية الآداب جامعة البحرين وأستاذ ورئيس قسم التفسير والحديث بجامعة قطر. من مؤلفاته: القرآن الكريم ونصوصه. بصائر في الحضارة والثقافة. www. ahgowthany.com

72- مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: الدكتور عدنان زرزور، دار القلم، دمشق، الدار الشاميّة، بيروت، ط: 2، 1419هـ - 1998م، ص 5.

ذكر الدكتور عدنان زرزور في مقدمة كتابه أنّه سمّاه هنا وفي كتب أخرى «قطعية النص القرآني وتاريخ توثيقه» وعلل ذلك فقال: «تاريخ القرآن أو ما أسميناه هنا وفي كتب لنا سابقة -قطعية النص القرآني وتاريخ توثيقه- تأكيدا لهذه التسمية وترجيحا لها على سابقتها التي لا يزال في النفس منها شيء نظرا لكونها تسمية مطلقة أو مفتوحة، هكذا تاريخ القرآن! بهذا الإطلاق، موهم أو ليس بدقيق على أقل تقدير»[73].

في حين أنّ الدكتور البوطي علّل هذه التسمية في حاشية التمهيد الثاني فقال: «مضمون هذا الكتاب كلام الله الأزلي القديم وهو من هذا الجانب لا يبدأ من تاريخ وليس له ميلاد ظهور أو تدوين، ولكننا نقصد في هذا المجال هذه الكلمات والأحرف والصفحات التي تضبطه وتحده والتي ظهرت ودونت في حقبة معينة من الزمن»[74].

وهكذا نلاحظ أن لا خلاف بين المؤلفين في حقيقة المسألة.

ثانيا: القرآن الكريم وأثره في اللغة العربية

ذكر الدكتور البوطي وجوه أهمية القرآن الكريم في اللغة العربية وسأكتفي بذكر رقم الوجه وحسب

أفرد الدكتور عدنان زرزور حفظه الله لهذا الموضوع بابا من ثلاثة فصول في حين أنّ الدكتور البوطي اكتفى بذكر تمهيد في هذا الموضوع، ولعلّ السبب في ذلك أنّه حفظه الله كان يشير إلى هذه الأهمية كلما أتيح له المجال في أثناء عرضه لمبحث من الأبحاث وكلما دعت الحاجة لذلك.

انفرد الدكتور عدنان زرزور بذكر مسألتين لم يتعرّض لهما الدكتور البوطي رغم ما هما عليه من الأهمية، هما:

1. اللسان العربي: أي سرّ اختيار اللغة العربية لينزل بها القرآن.
2. العرب والقرآن: أي سر اختيار العرب دون غيرهم من الشعوب لجعل الرسالة

73- مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: ص 5.

74- من روائع القرآن: ص 18.

فيهم.

أمّا ما تبقى من نقاط فقد اشترك بذكرها كلا الكاتبين مع الاختلاف في الصياغة وطريقة التعبير على النحو الآتي:

تحدّث الدكتور عدنان زرزور عن أثر القرآن الكريم في اللغة العربية من الوجهة التاريخية بكونه قوة دافعة من جهة وواقية من جهة أخرى، وهذا نفسه ما قصده الدكتور البوطي من الوجه الأول الذي ذكره؛ ذلك بأنّه لمّا كان أوّل كتاب ظهر في تاريخ العربية وكانت حركة التدوين قد تحققت بعده كان ناشرا وحافظا للغة العربية في الوقت نفسه.

تكلّم الدكتور عدنان زرزور عن الأثر الموضوعي للقرآن الكريم في اللغة العربية من ناحيتين، الأولى: توحيد لهجات العرب، وهذا ما ذكره الدكتور البوطي في الوجه الثاني حيث أكد على دور القرآن الكريم في توحيد ألسنة الناس وتذويب اللهجات المختلفة. الثانية: أثره في ألفاظ العربية ومعانيها، وهو ما عناه الدكتور البوطي من الوجه الرابع حينما تكلّم عن الكلمات الثقيلة التي كان يستخدمها العرب قبل نزول القرآن وما حلّ بهذه الكلمات عند نزوله.

المبحث الثالث: القرآن الكريم: تعريفه، حقيقته

تكلّم كلا المؤلفين غفر الله لهما عن هذا الموضوع وهذا من الطبيعي لكونه من المواضيع التأسيسية في علوم القرآن فالحديث عن أي شيء يقتضي التعريف به أوّلا. وقد اتفقا بذكر نقاط مشتركة واختلفا بأخرى.

أمّا ما اتفقا في ذكره فهو:

- ذكرهما لتعريف القرآن الكريم من الناحية الاصطلاحية، ولم يرجح الدكتور عدنان زرزور تعريفا يميل إليه من بين التعريفات التي ذكرها، خلافا للدكتور البوطي الذي اكتفى بذكر تعريف واحد.
- ذكرهما الفرق بين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بنوعيه (القدسي وغير القدسي)، وقد تكلّم الدكتور عدنان زرزور عن هذه المسألة بصراحة ووضوح تحت عنوان: تعريف القرآن الكريم والفرق بينه وبين الحديث، في

حين أنّ الدكتور البوطي تكلّم عنها في مواضع متفرقة ضمن قيد الموحى به تارة حيث قال: « إنّه -أي الرسول ﷺ- كان يرسل ألفاظ الحديث إرسالا مكتفيا أن يستودعه ذاكرة أصحابه في حين يأمر بتسجيل كل ما يوحى إليه من آي القرآن ويظل يكرره ويعيده خوفا من أن ينساه»[75]. وضمن قيد المتعبّد بتلاوته تارة أخرى فقال: « إنّ الصلاة لا تصح إلا بقراءة شيء منه ولا يغني عنه شيء من الأذكار أو الأدعية أو الأحاديث»[76] وقال: «الحديث القدسي ليس بمعجز ذلك بأنّ اللفظ فيه من الرسول عليه السلام»[77]

- تحدّثهما عن الوحي: كلا المؤلفين تكلّم عن الوحي بين مكثر ومقل، فبينما نجد الدكتور زرزور قد أفرد لذلك فصلا كاملا من سبع عشرة صحيفة، نجد الدكتور البوطي تناول هذه المسألة ضمن قيد الموحى به أثناء تعريفه للقرآن بما يقارب الست صفحات، هذا من حيث الظاهر.

أمّا من حيث المضمون فإنّنا نجد الدكتور زرزور تكلّم عن تعريف الوحي وعن أنواعه وهذا ما لم يقم به الدكتور البوطي.

ونلاحظ أنّ كلا الكاتبين تكلّم عن الشبهات الموجودة حول ظاهرة الوحي، وكلا منهما ترك إحدى الشبه -على اختلاف بينهما في هذه الشبهة- ولم يناقشها. إلا أنّ الدكتور عدنان زرزور ترك الردّ على هذه الشبهة إلى موضع لاحق في الكتاب، في حين أنّ الدكتور البوطي لم يبحثها في الكتاب مطلقا، ولعلّ السبب في ذلك أنّه بحثها في كتب أخرى كفقه السيرة النبوية.!

وبذلك نلاحظ أنّ الدكتور البوطي رحمه الله لم يتكلّم عن ظاهرة الوحي على نحو واسع، كما هو الحال عند الدكتور عدنان زرزور، وإنّما اكتفى بذكرها ضمن قيد الموحى به.

أمّا ما انفرد به كل منهما:

75- من روائع القرآن: ص 33.
76- المرجع السابق: ص 34.
77- المرجع السابق.

- فقد انفرد الدكتور عدنان زرزور حفظه الله بالتكلّم عن القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة وانفرد أيضا بذكر التعريفات اللغوية، وهذا ما لم يقم به الدكتور البوطي.
- وانفرد الدكتور البوطي رحمه الله بذكر أسماء أخرى للقرآن الكريم وهذا ما لم يقم به الدكتور زرزور

المبحث الرابع: نزول القرآن منجما والحكمة من ذلك

من خلال القراءة في كتاب (مدخل إلى علوم القرآن) للدكتور عدنان زرزور تبيَّن لي أنَّ الكتاب قد اتفق مع (من روائع القرآن) بجملة من الأمور بغض النظر عن مزيد التفصيل الذي كان يأتي به، إلا أنَّه قد تفرَّد بذكر عدد من المسائل التي لم يذكرها الدكتور البوطي والتي أشرت إلى بعضها في الفصل الثاني[78].

أمَّا ما يتعلَّق بالمسائل التي تفرَّد الدكتور عدنان زرزور بذكرها في هذا المبحث والتي لم يتعرَّض لها الدكتور البوطي فمنها: مسألة الوحي والتنزيل والفرق بينهما. فقد تكلَّم الدكتور عدنان زرزور عن هذه المسألة فبين أنَّه غالبا ما يكون التعبير بالوحي «في سياق العلاقة بين النبي ﷺ والقرآن على وجه العموم»[79]. في حين أنَّ التعبير بالتنزيل يكون في «التعبير عن القرآن الكريم بوصفه حقيقة موضوعية (أنزله) الذي يعلم السر في السموات والأرض»[80].

وقد تكلَّم الدكتور زرزور عن شبهة نزول القرآن الكريم بالمعنى دون اللّفظ ضمن حديثه عن الوحي والتنزيل فقال: «والذي نحب أن نؤكد عليه هو أنَّ الذي نزل به جبريل عليه السلام هو القرآن الكريم باعتبار أنَّه الألفاظ المعجزة أو الكلام العربي المعجز من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس، وأنَّه كلام الله تعالى وحده لا دخل لجبريل ولا لمحمد عليه السلام في إنشائه وترتيبه»[81]. ثمَّ إنَّه أخذ

78- ذكرت في الفصل السابق أنَّ المؤلف حفظه الله لم يتكلَّم عن تنزلات القرآن الكريم وأوَّل ما نزل وآخر ما نزل. أنظر ص: 59.

79- مدخل إلى تفسير القرآن وعلوم القرآن: ص: 83.

80- المرجع السابق.

81- المرجع السابق: ص 84.

يستدل بالآيات القرآنية على نزول القرآن باللَّفظ والمعنى.

ولابدَّ من الإشارة إلى أنَّ الدكتور البوطي لم يغفل ذكر هذه المسألة كليا، فصحيح أنَّه لم يتكلَّم عن هذه الشبهة تحت اسم الشبهة أو أنَّه لم يتعرَّض لذكر الآيات التي تدلِّل على نزول القرآن الكريم باللفظ والمعنى إلا أنَّه في المبحث الأوَّل الذي تكلَّم فيه عن القرآن وحقيقته عرَّف القرآن بأنَّه «اللفظ العربي المعجز الموحى به إلى محمد ﷺ المتعبَّد بتلاوته الواصل إلينا من طريق التواتر»[82]. فكأنَّه بهذا التعريف الذي بدأ به حديثه عن أنواع علوم القرآن أراد الإشارة إلى هذه المسألة ولكن بطريقة مختصرة خفية كما هو حاله في سائر الكتاب. والله أعلم.

ومما تميَّز الدكتور زرزور بذكره مدة نزول القرآن الكريم وأوَّل ما نزل منه[83] مع ذكر الأدلة على ذلك في حين أنَّ الدكتور البوطي قد اكتفى بنقل ترجيح العلماء بكون آخر آية أنزلت قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: 281].

وأخيراً تكلَّم الدكتور زرزور عن تنزُّلات القرآن الكريم ولكن في الحاشية[84] وهذا ما ترك الدكتور البوطي ذكره بشكل كلي ولم يشر إليه حتَّى مجرد إشارة.

أمَّا ما تفرَّد الأستاذ البوطي بذكره ولم يتطرَّق له الدكتور زرزور فهو نزول الكتب السماوية دفعة واحدة[85] خلافا للقرآن الكريم الذي نزل منجما، إضافة إلى ذكره لما نزل جملة واحدة من سور القرآن الكريم. صحيح بأنَّه لم يذكره مفصلا لكنَّه لم يغفله بالكلية.

أمَّا ما اتفق كلا المؤلِّفين حفظهما الله على ذكره فهو الحكمة من نزول القرآن الكريم منجما، وإن كان الدكتور البوطي قد اكتفى بأهم الحكم على خلاف

82- من روائع القرآن ص 27.
83- مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: ص: 86.
84- المرجع السابق انظر ص 84.
85- من روائع القرآن: انظر ص 35.

للدكتور زرزور الذي عدَّد الكثير منها وفصَّل في شرحه[86]، إلا أنَّ الدكتور البوطي علَّل ذلك في نهاية المطاف قائلا: وثمَّة حكم أخرى جلية لهذه الظاهرة في نزول القرآن، نمسك عن سردها والإطناب فيها، استغناء بما ذكرنا واكتفاء بالنَّماذج عن الاستقصاء.

المبحث الخامس: أسباب النزول

لم يذكر الدكتور عدنان زرزور في كتابه مبحثا تحت عنوان (أسباب النزول) رغم إشارته إليه في مبحث نزول القرآن منجما فقال: «على الرغم من أننا سوف نتناول الرد على هذا الزعم -كون الوحي استجابة للواقع- في مبحث سبب النزول»[87]. لكنني بحثت عن مبحث تحت هذا العنوان فلم أجد. والله أعلم

المبحث السادس: جمع القرآن وكتابته

الملاحظ في هذا المبحث أنَّ كلا المؤلفين -غفر الله لهما- أتى على نفس الموضوعات التي أتى عليها المؤلف الآخر مع بعض الزيادة والنقصان الذي سأشير إليه لاحقا، ثمّ إنَّ كلا الكاتبين قد استوفى العناصر الأساسية في هذا المبحث بل وزاد عليها بما له صلة بها دون استطراد ممل.

فالموضوعات المشتركة بين الكاتبين هي الحديث عن حفظ القرآن الكريم والأساليب التي ساعدت على حفظه، وإن كان كل منهما سلك منهجا خاصا في ذلك -وهذا أمر طبيعي لا ضير فيه- فبينما عرض الدكتور عدنان زرزور لهذا الأمر بكثير من التفصيل والتقسيم حيث قسمه إلى حفظ النبي ﷺ له، وإلى حفظ الصحابة رضوان الله عليهم له والوسائل المهيأة لكل من الطرفين وهذا ما سماه حفظا في الصدور. ثمّ تكلم عن حفظه بالكتابة والتدوين بشيء من التفصيل، فبينما فعل هو ذلك اكتفى الدكتور البوطي بعرض موجز وشامل لهذه المسألة أي إن اختصاره لها لم يكن فيه إخلال بالحقائق.

86- مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه انظر ص: 89.
87- المدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: ص 99.

وكذلك جمع القرآن الكريم في عهد الصديق ﷺ [88] فقد تكلّم كلا المؤلفين عن هذا الموضوع وأحاط بجميع جوانبه منطلقا في شرح هذه المسألة على ما ورد في صحيح البخاري[89] ثم بعد ذلك خلص إلى مجموعة من النتائج التي يمكن أن أعدها مشتركة بين كلا الكاتبين وإن كانت قد وردت في مواطن متفرقة عندهما. والله اعلم.

ثمّ تكلما عن جمع المصاحف في عهد سيدنا عثمان بن عفان ﷺ. وأخيرا أغفل كلا المؤلفين التعريفات اللغوية والاصطلاحية.

أما ما استأثر الدكتور زرزور بذكره في كتابه ولم يذكره الدكتور البوطي فهو (قاعدة عثمان في الجمع ومزايا المصحف العثماني) [90] حيث تكلم المؤلف حفظه الله تعالى عن جملة من المزايا التي تضمنها الرسم العثماني منها موافقته للقراءات المختلفة والتي أقرها الرسول الكريم ﷺ وغيرها من الأمور الأخرى التي أغفل الدكتور البوطي رحمه الله ذكرها بالكلية أو اكتفى بمجرد الإشارة إليها.

وكذلك الشبه المتعلقة بتحريق عثمان ﷺ للمصحف[91] ومنها ما زعمه بعض غلاة الشيعة أن الدافع له في تحريقها إخفاء التبديل على النص القرآني وقد أجاب عن هذه الشبه مستدلا بالأدلة والآراء المختلفة. وكذلك تكلّم عن الرسم العثماني[92] وهو ما أفرد الدكتور البوطي له بحثا خاصا فسأترك مناقشة ما جاء فيه إلى المبحث التالي إن شاء الله.

وأخيرا أريد أن أنبه إلى ما ابتدأ الدكتور به هذا المبحث وهو الخلط الذي وقع فيه الدكتور (آرثر جفري) في كتابه (المصاحف) حيث قال: «الرأي الشائع في أن القرآن الكريم كتب في عهد النبي ﷺ لا يقبله المستشرقون لأنه يخالف ما

88- انظر من روائع القرآن ص: 51، والمدخل إلى تفسير القرآن وعلومه ص: 111.

89- انظر صحيح بخاري (337/3)، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم الحديث 4986.

90- مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: ص 121.

91- المرجع السابق: ص 124.

92- المدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: ص 130.

جاء في الأحاديث الأخرى، أنه قبض ﷺ ولم يجمع القرآن في شيء»[93].

هذا ما انفرد به الدكتور عدنان زرزور، أما ما استأثر به الدكتور البوطي فهو قيامه بموازنة بين عمل الصديق وذي النورين ﷺ[94] وهذا العمل وإن كان الدكتور زرزور قد أشار إليه في مواطن متفرقة إلا أنّه لم يكن على هذا النحو من التنسيق الذي هو في (روائع القرآن).

وكذلك مسألة ترتيب الآيات والسور[95] في القرآن الكريم فقد ذكره الدكتور البوطي في بداية المبحث ولم يذكرها الدكتور زرزور حفظه الله والسبب في ذلك أنّه أفرد لها مبحثا خاصا استوعبها فيه وخالف الدكتور زرزور الدكتور البوطي في مسألة إجماع العلماء على كون ترتيب القرآن توقيفيا حيث نقل اختلاف العلماء في هذه المسألة على ثلاثة أقوال ذكرتها سابقا فلا حاجة إلى إعادتها.

ثمّ إن الدكتور عدنان تكلم عن حكم ترتيب القرآن الكريم وفقا لأسباب النزول فنقل تجويز بعض العلماء له وبين عدم استساغته لهذا الأمر. في حين أن الدكتور البوطي اكتفى بمجرد الإشارة لهذه المسألة دونما إعطاء حكم فيها لأنها – كما بينت سابقا– ليست محلا للبحث[96].

وأخيرا خالف الدكتور زرزور الدكتور البوطي في مسألة عدد مصاحف[97] سيدنا عثمان ﷺ فبينما نقل الدكتور عدنان الاختلاف في هذه المسألة وذكر أنّ الأكثرين قالوا إنها خمس نسخ، نرى الدكتور البوطي ينقل ذات الخلاف وقال بأن الأكثر على أنها سبع نسخ. والذي يبدو لي عدم وجود دليل يمكن الاستناد إليه في هذه المسألة وحسبي فيها أن أقول أنها أكثر من خمس نسخ[98]. والله اعلم.

93- المرجع السابق: ص 106.
94- من روائع القرآن: ص 55.
95- المرجع السابق: ص 47.
96- انظر من روائع القرآن ص: 49. ومدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: ص 141.
97- المراجع السابقة ص: 56. وص: 124. على الترتيب.
98- انظر إتقان البرهان في علوم القرآن. (279/1).

المبحث السابع: رسم القرآن الكريم

بينما أفرد الدكتور البوطي لذلك مبحثا خاصا عنونه بهذا العنوان، اكتفى الدكتور زرزور حفظه الله بتخصيص فقرة ضمن مبحث (جمع القرآن الكريم) تحت عنوان (رسم المصحف أو الرسم العثماني)[99] تناول فيها تعريف الرسم، وعدد قواعد الرسم العثماني (حذف وزيادة وبدل وفصل ووصل وما فيه قراءتان فكتب على أحدهما) مع بعض الأمثلة على ذلك، ثمَّ ذكر أهم المؤلفات في هذا المجال مثل كتاب الإتقان والبرهان وكتاب المقنع لأبي عمرو الداني ثمَّ ختم ذلك بالتحدث عن الرسم العثماني والرسم المعاصر ويظهر من خلال كلامه رفضه لتغيير الرسم العثماني حتى وإن كان الغرض منه سهوله التعليم والحفظ.

في حين أنَّ الدكتور البوطي رحمه الله ترك ذكر هذه المسائل كما بينت سابقا[100]، إلا أنه انفرد بذكر المراحل التحسينية التي مرّ بها رسم المصحف من جهة، ثمّ إنه عرض بشكل موجز لتاريخ طباعة القرآن الكريم وهذا ما لم يقم به الدكتور عدنان زرزور حفظه الله.

ونلاحظ أنَّه بالرغم من صغر حجم ما قدمه الدكتور عدنان زرزور إذ إنَّه لم يتجاوز ثلاث صحائف إلا أنّه كاد يستوعب القدر الأكبر للبحث وهذا ما لم يقم به الدكتور البوطي.

المبحث الثامن: الأحرف السبعة في القرآن

لم يتعرّض الدكتور عدنان زرزور لذكر الأحرف السبعة في كتابه بالرغم من إشارته لإفراد بحث يتناول هذا الموضوع في الفصل الرابع الذي تناول فيه جمع القرآن[101]

99- المدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: ص 130.
100- انظر ص: 64.
101- المدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: ص 122.

المبحث التاسع: علوم القرآن

ظهر لي بعد البحث في الكتاب أن الدكتور عدنان زرزور حفظه الله لم يتعرض لهذا الموضوع بالذكر.

المبحث العاشر: التفسير: حقيقته، نشأته وتطوره، مذاهبه وشروطه

بينما أفرد الدكتور البوطي رحمه الله لهذا الموضوع مبحثا خاصا، نجد الدكتور عدنان زرزور حفظه الله أفرد لذلك بابا من خمسة فصول تكلّم فيه عن أمور شتّى، والذي يعنينا في هذا المقام بيان مواضع الاتفاق والاختلاف بين الكاتبين والزيادات التي أضافها كل منهما.

أما القدر الذي اتفق فيه المؤلّفَان فهو الحديث عن تعريف التفسير والتأويل بالمعنى الاصطلاحي، والفرق بينهما[102]، ثمّ التحدث عن مذاهب التفسير المختلفة والتركيز بداية على مذهبي (التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي) [103]، ومما اتفقا عليه أيضا التكلم بلمحة موجزة عن التفسير الإشاري ويظهر من قولهما عدم استحباب هذا النوع من التفسير[104]، وكذلك ذكر مراحل التفسير أو ما يسمى بتطور التفسير على اختلاف بين المؤلفين في المضمون[105].

أما ما تفرد به الدكتور البوطي رحمه الله فهو ذكر وجوه الحاجة إلى التفسير[106] من خلال سؤال أثاره وهو: أنّ الله ﷻ لا يخاطب عباده إلا بما يفهمونه، فما هو وجه الحاجة إلى التفسير إذا؟، وكذلك نجد الدكتور حفظه الله يذكر شروط التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي وهذا ما لم يقم به الأستاذ عدنان

102- انظر من روائع القرآن: ص 85-86. والمدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: ص 212-214.
103- انظر من روائع القرآن: ص 94-95. والمدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: ص 216-217.
104- انظر من روائع القرآن: ص 98-99. والمدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: ص 220- 221.
105- انظر من روائع القرآن: ص 88 وما بعدها. والمدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: ص 217 وما بعدها.
106- من روائع القرآن: ص 86 وما بعدها.

زرزور[107]، ثمّ إنه عند تكلمه عن تطور التفسير قسَّم ذلك إلى طبقات فتكلم عن طبقة الصحابة والتابعين ومن بعدهم وذكر أكثر من اشتهر في كل طبقة مع بيان ما امتازت به وهذا ما لم يقم به الدكتور زرزور حفظه الله إذ إنّه اكتفى بذكر مراحل التفسير من خلال ما تميزت به هذه المراحل.

وأمّا ما تفرد به الدكتور عدنان زرزور حفظه الله فهو ذكره للتعاريف اللغوية لكل من التفسير والتأويل[108]، وذكره للمحة موجزة عن المعرّب في القرآن الكريم كتمهيد للدخول في البحث[109]، وإفراده فصلا كاملا للتحدّث عن التفسير البياني ضمّنه لمحة عامة عن التفسير البياني وأهم شروطه وقواعده ومثّل له بتفسير الكشاف للزمخشري[110]، في حين أنّ الدكتور البوطي لم يتناول التفسير البياني بأيّ ذكر إلاّ من خلال التحدث عن صنعة العلماء وأثرها على منهجهم في تفسير القرآن الكريم، فتكلّم عن علماء العربية وما ألفوه من تفاسير ليخدم بذلك فنّهم وضرب مثالا لذلك تفسير الكشاف للزمخشري وتفسير أبي السعود، وبعد ذلك تكلم عن علماء الفقه وعلماء الكلام[111] وهذا مما لم يتعرّض لذكره الدكتور البوطي رحمه الله، ومما انفرد الدكتور عدنان زرزور بذكره أيضا التعريف بالتفسير العلمي من خلال إفراد فصل كامل لذلك ضمّنه معنى التفسير العلمي وأسباب ظهوره وشروطه وغيرها من الأمور[112]، وبعد ذلك عرّف بظلال القرآن كنموذج[113].

أخيرا أريد أن أشير إلى أنّ الدكتور البوطي عند تحدّثه عن التفسير بالمأثور تكلّم عن تفسير القرآن بالسنة النبوية وبأقوال الصحابة والتابعين ﷺ ولم يُدْخل تفسير القرآن بالقرآن ضمن التفسير بالمأثور، في حين أن الدكتور زرزور أدخله

107- المرجع السابق: ص 95 وما بعدها.
108- المدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: ص 212، 213.
109- المرجع السابق: ص 211.
110- المدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: ص 223 وما بعدها.
111- من روائع القرآن: ص 93-94.
112- المدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: ص 231.
113- المرجع السابق: ص 249.

ضمن التفسير بالمأثور مع قوله «وإن كانت تسميته -أي تفسير القرآن بالقرآن- تفسيرا بالمأثور فيها نظر»[114]

المبحث الحادي عشر: المكي والمدني

هذا المبحث مما انفرد الدكتور البوطي رحمه الله بذكره[115]، إذ إنّ الدكتور عدنان زرزور حفظه الله لم يتعرّض له بالذكر.

المبحث الثاني عشر: المبهم والمتشابه في القرآن

هذا المبحث من المباحث التي انفرد الدكتور البوطي بذكره[116]، ولم يتعرض الدكتور عدنان زرزور حفظه الله له بأي ذكر.

المبحث الثالث عشر: القراءات والقرّاء

هذا المبحث مما انفرد الدكتور البوطي رحمه الله بذكرها[117]، إذ إنّ الدكتور عدنان زرزور لم يتناوله بالدراسة.

المبحث الرابع عشر: إعجاز القرآن

تناول كلا المؤلفين هذا الموضوع ولكن من زوايا مختلفة، ويكاد كل منهما أن يكون انفرد بمضمونه وطريقته وأسلوبه في العرض، فنقاط الاتفاق بينهما يسيرة في حين أنّ المسائل التي انفرد بها كلا الطرفين كثيرة وسأذكر بداية بعون الله مواطن الاتفاق، وبعد ذلك أتعرّض لمواطن الاختلاف.

أمّا القدر المتّفق فيه بين المؤلفين فهو الحديث عن معنى الإعجاز، إذ إنّهما

114- المرجع السابق: ص 216. بحثت في عدد من الكتب منها كتاب مناهل العرفان للزرقاني، مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح، وغيرها ولم أجد خلافا في تسمية تفسير القرآن بالقرآن تفسيرا بالمأثور.

115- من روائع القرآن: 101 وما بعدها.

116- من روائع القرآن: ص 109 وما بعدها.

117- انظر من روائع القرآن: ص 123.

تناولا هذا الموضوع وإن كان بطريقة مختلفة وبمنهج مختلف بين تفصيل وإيجاز، فنلاحظ مثلا أنّ الدكتور عدنان زرزور قد تناول هذا الموضوع مفصلا بأن قام بدراسة كلا النظريتين (نظرية الصرفة، نظرية النظم) وتعرّض لذكر مناقشة مطولة لهما في حين أنّ الدكتور البوطي اكتفى بذكر تعريفين لمعنى الإعجاز[118] وبعد ذلك قام بعرض الأدلة والترجيح باختصار. وأشير هنا إلى أنّ الدكتور زرزور تناول هذه المسألة تحت عنوان (آراء ونظريات حول الإعجاز) في حين أنّه استخدم عنوان (معنى الإعجاز) ليدل -كما ظهر لي- في موضع آخر على دلائل الإعجاز -كما هي التسمية عند الدكتور البوطي-.

وكما سبق أن بيّنت تناول كلا المؤلفين دلائل الإعجاز تحت عناوين مختلفة فبينما عنون الدكتور لذلك تحت اسم (الدليل على ثبوت الإعجاز) [119] استخدم الدكتور زرزور لذلك عنوانا آخر وهو (معنى الإعجاز) و(الإعجاز حقيقة تاريخية).

وطبعا تناول كلا المؤلفين وجوه الإعجاز بين مقتصد ومكثر إلا أنّ القاسم المشترك بينهما هو الوجه البياني حيث أفاض كل من المؤلفين بذكره من جوانب متعددة والملاحظ أنّ الدكتور زرزور جعل مدار حديثه في هذا المجال على « النظم القرآني » عند عبد القاهر الجرجاني[120]، وخاصة مسألة الألفاظ المفردة وعدم وجود الإعجاز فيها، وإنّما الإعجاز من ناحية ملائمتها للمعنى الذي وضعت لأجله في الآية، وهذا ما أكد عليه الدكتور البوطي إلا أنّه لم يجعله مدارا للبحث بل اكتفى بالإشارة إلى هذه الجزئية في الحاشية حيث قال: « إنّما يتجلى الإعجاز في الكلمة القرآنية عندما تكون مستقرة في مكانها من الجملة القرآنية، فلا ينطبق شيء مما سنقوله في هذا الصدد على الكلمات القرآنية إذا التقطتها خارج منازلها القرآنية

118- من روائع القرآن: ص: 149-151.

119- المرجع السابق: ص 151.

120- هو عبد القاهر بن عبد الرحمن أبو بكر الجرجاني النحوي، شافعي المذهب أشعري الأصول، أخذ النحو بجرجان عن أبي الحسن الفارسي، من كتبه: المغني في شرح الإيضاح، المقتصد، إعجاز القرآن، العمدة، توفي عام 471 هـ. الوافي بالوفيات (34/19).

كقواميس اللغة أو كلام الناس مثلا»[121] فجعل مدار البحث متعلّقا بالكلمة ومظاهر الإعجاز فيها، والجملة ومظاهر الإعجاز فيها.

وكذلك تناول الدكتور عدنان زرزور ما يسمى بـ (النظم الموسيقى) [122] ضمن حديثه عن الإعجاز البياني في القرآن الكريم، وهو عينه ما قصده الدكتور البوطي بـ (الاتساق اللفظي والإيقاع الداخلي) [123].

وكذلك التصوير الفني، فقد تناوله كلا المؤلفين بالذكر وإن كان عند الدكتور البوطي مختصرا لكونه سيفرد له مبحثا خاصا -كما قال- وتناوله تحت عنوان « إخراج المعنى المجرد في مظهر الأمر المحسوس» كمظهر من مظاهر إعجاز الجملة القرآنية[124].

وأخيرا، من الموضوعات المشتركة بين المؤلفين «الجهة المخاطبة بهذا الإعجاز» أي الإعجاز البياني، والتي جعلها الدكتور عدنان زرزور تحت عنوان (تعقيب عام: البيان والإنسان) فبينما يرى البوطي رحمه الله أنّ المخاطبين -بشكل مباشر- هم العرب وحدهم[125]، وهم بدورهم حجة على غيرهم. يرى الدكتور زرزور أنّ هذا الوجه من الإعجاز يسع العجم ويسع العرب حيث قال: « لنقل: يسع العجم ما وسع العرب، كما قال علماؤنا الأوائل. ولنقل أنّ بعض وجوه الإعجاز -أي البياني- تلزم حتّى غير العرب. ولنقل: إنّ من حق -أو واجب- جميع الناس أن تعمّهم اللغة المثال مادام القرآن الكريم نازلا بلغة واحدة من لغات الأرض»[126]

هذا ما يتعلّق بمواطن الاتفاق بين الباحثين، أمّا ما تفرّد به الدكتور البوطي فهو حديثه عن:

121- انظر من روائع القرآن، حاشية ص 165.
122- المدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: ص 180.
123- من روائع القرآن: ص 170.
124- من روائع القرآن: ص 174.
125- المرجع السابق: ص 160.
126- المدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: ص 187.

1. مصدر الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.
2. الإعجاز بالغيبيات، ويتضمّن ذلك الإعجاز العلمي.
3. الإعجاز بالتشريع، على التفصيل الذي ذكرته سابقا[127].
4. مظهر جلال الربوبية.
5. أهم مَن كتب في موضوع الإعجاز في القرآن الكريم حديثا.

في حين أنّ ما تفرّد به الدكتور عدنان زرزور حفظه الله حديثه عن الفاصلة القرآنية وما تضمّن من تعريف بالفاصلة، وبيان لدورها وموقعها، وذكر لأنواعها، وأخيرا بيان الفرق بين الفاصلة والسجع والشعر[128].

المبحث الخامس عشر: التصوير في القرآن

بينما أفرد الدكتور البوطي رحمه الله لهذا الموضوع مبحثا خاصا، اكتفى الدكتور زرزور حفظه الله بإدراجه ضمن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، إلاّ أنّ هذا لا يعني أن الدكتور البوطي لم يعدّه من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم؛ بل عدّه كذلك وهذا واضح في حديثه عنه.

ونلاحظ أنّ كلا المؤلّفين قد اعتمد في مبحثه هذا على ما كتبه سيد قطب رحمه الله في كتابه (التصوير الفني في القرآن الكريم) إلا أنّ اعتمادهما عليه كان بين مكثر ومقل، فبينما نجد الدكتور زرزور اعتمد عليه بالكلّية؛ حتى إنّه استخدم نفس العنوان (التصوير الفني) عند الكلام عن التصوير في القرآن الكريم، نجد أنّ الدكتور البوطي لم يعتمد عليه على هذا النحو الواسع.

وبالجملة فإنّ فحوى الموضوع عند كلا المؤلفين واحد إلا أنّ الخلاف بينهما كان في العناوين المستخدمة في التعبير عن الموضوعات، والحقيقة -كما يبدو لي- أنّ ما جعله الدكتور البوطي تحت عناوين منظمة اكتفى الدكتور زرزور بسردها سردا كشرح لكلام سيد قطب، إذ إنّ مبحثه لم يكن أكثر من جمع لأقوال سيد قطب من كتابه (التصوير الفني) ومن ثمّ شرحها والتعقيب عليها. وهذا ما

127- انظر ص: 43.

128- المدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: ص 189 وما بعدها.

ابتعد عنه الدكتور البوطي حيث إنّه كان يذكر المسألة ويشرحها ويأتي بالجديد فيها ثمّ يستشهد بعد ذلك بما قاله سيد قطب، حتى إنّه رحمه الله أتى بأمثلة جديدة ليست كالتي استخدمها سيد قطب في كتابه وقد أكد على ذلك في الحاشية حيث قال: « هذا وقد حرصت أن يكون غالب الأمثلة التي أتيت بها مما لم يذكره سيد قطب، حتى لا يتوهم متوهم أن مدار التصوير في القرآن على طائفة من الآيات المعينة لا مزيد عليها. بل هي كما قلنا الطريقة المتبعة في التعبير القرآني دائما »[129]

المبحث السادس عشر: الأمثال في القرآن

تناول الدكتور البوطي رحمه الله هذا الموضوع وخصص له مبحثا خاصا جمع فيه أهم المسائل المتعلّقة به وترك مسائل أخرى حيث قال: « ولسنا بصدد تحليل القيمة البلاغية لضرب الأمثال، وبيان كيفية استعمالها والاستفادة منها في أنواع الحديث وأصول المخاطبات. وإنّما الذي يهمنا في هذا الصدد أن نلتمس أبرز الخصائص التي تظهر في أمثلة القرآن وعلاقة ذلك ببلاغته وإعجازه»[130]

في حين أنّ الدكتور عدنان زرزور حفظه الله لم يتناول هذا الموضوع على الإطلاق.

المبحث السابع عشر: القصة في القرآن

هذا المبحث مما انفرد به الدكتور البوطي رحمه الله في حين أنّ الدكتور زرزور حفظه الله لم يتناوله بالدراسة والبحث، إلا أنّه تناوله بالذكر عند وصفه لمضمون كتاب سيد قطب حيث قال: « هذا وقد تحدث سيد رحمه الله بعد ذلك في أبرز فصول كتابه عن (التخيل الحسي والتجسيم) وعن (التناسق الفني) وعن (القصة القرآنية) نظرا لغناها الواسع في مسألة النماذج الإنسانية والطبيعة البشرية التي أُخرجت في القرآن الكريم عن تلك الحالة من التصوير الدقيق؟ ونورد فيما

129- من روائع القرآن: حاشية ص 209.
130- من روائع القرآن: ص 210.

يلي طرفا من بعض هذه الفصول»[131] وتكلّم عن كل من التخيل الحسي والتجسيم وعن التناسق الفني، ولم يتكلّم عن القصة القرآنية.

المبحث الثامن عشر: مباحث متعددة

قصدت بهذا العنوان ذكر عدد من المباحث التي انفرد بها الدكتور البوطي بقصد إظهار إعجاز القرآن الكريم، ولم يذكرها الدكتور عدنان زرزور في كتابه، هي:

- موضوعات القرآن الكريم وطريقة عرضه لها.
- المنهج التربوي في القرآن.
- النزعة الإنسانية في القرآن.
- فلسفة القرآن عن الكون والإنسان والحياة.
- ترجمة القرآن الكريم.

المبحث التاسع عشر: نصوص تطبيقية

عمل كلا المؤلفين على عرض نماذج تطبيقية للمسائل النظرية التي قاما بذكرها سابقا. وبينما قام الدكتور البوطي بعرض خمسة نصوص كل منها يشير إلى موضوع وناحية معينة وأسلوب معين من أساليب القرآن الكريم، نجد أن الدكتور عدنان زرزور اكتفى بعرض نصين أحدهما سورة الفجر، والثاني سورة العاديات.

وقد قام الدكتور زرزور حفظه الله بنقل تفسير سيد قطب في كتابه (من ظلال القرآن) فيما يتعلّق بسورة الفجر، ومن المشهور أنّ تفسير سيد قطب عني بالنواحي الأدبية والتصويرية في تفسيره على حساب النواحي الأخرى التي يجب أن يتضمّنها تفسير النص القرآني.

وفي النص الثاني (سورة العاديات) قام بنقل الدراسة الأدبية لنصوص القرآن الكريم للأستاذ محمد مبارك، وهي -كما هو واضح- دراسة أدبية عنيت بالنواحي

131- مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: ص 172.

الأدبية وحسب أي ما يتعلّق بأسلوب القرآن في عرض الأفكار وموسيقى السورة إضافة إلى بعض الأمور الأخرى التي يتناولها المفسرون في تفاسيرهم (الشرح الإجمالي للسورة – الموضوعات الأساسية للسورة).

في حين نجد أن الدكتور البوطي تناول دراسة النص القرآني من جوانب عديدة أوسع من الجوانب التي اقتصر عليها الدكتور زرزور، فمن هذه الجوانب التي تميّز بها الدكتور البوطي ذكره للمناسبات وللإعراب وغيرها وقد ذكرتها بالتفصيل في موضع سابق[132]. إلا أنّه لم يضعها تحت عنوان عريض –كما فعل الدكتور محمد مبارك– إنّما اكتفى بذكرها أثناء الشرح.

وأخيرا نلاحظ أنّ كلا المؤلفين اعتنى بتطبيق الجوانب النظرية التي كان قد ذكرها مسبقا، فمثلا نجد الدكتور البوطي تكلّم عن المنهج التربوي في القرآن لذلك عرض له في النماذج التطبيقية، في حين أن الدكتور زرزور لم يذكره، لذلك لم يعرض له.

وكذلك نجد الدكتور زرزور تكلّم عن النظم الموسيقى في القرآن؛ لذلك عرض لها في النماذج التطبيقية خلافا للدكتور البوطي الذي لم يذكرها؛ لذلك لم يعرض لها.

المبحث العشرون: الآيات والسور وترتيبها

هذا المبحث مما انفرد الدكتور عدنان زرزور بذكره، في حين أنّ الدكتور البوطي اكتفى عند حديثه عن كيفية جمع القرآن وترتيبه بنقل إجماع العلماء في كون القرآن الكريم توقيفي الترتيب في سوره وآياته. وقد بيّنت هذه المسألة سابقا[133].

132- انظر ص: 55.

133- انظر ص: 63.

المبحث الحادي والعشرون: جدول بالأنواع المشتركة بين الدكتور عدنان زرزور والدكتور البوطي[134]

	اسم النوع[135]	اسمه عند الدكتور زرزور	اسمه عند الدكتور البوطي
1	معرفة أسمائه واشتقاقاتها[136]	القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة	القرآن الكريم: تعريفه حقيقته
2	كيفية إنزاله	نزول القرآن منجما والحكمة من ذلك	نزول القرآن والحكمة من تنجيمه
3	في بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة	جمع القرآن وتدوينه	كيفية جمع القرآن وكتابته والأدوار التي مرّ بها
4	معرفة تفسيره وتأويله	لمحة عن نشأة التفسير وتطوره	التفسير: حقيقته، نشأته، مذاهبه وشروطه.
5	معرفة إعجازه	إعجاز القرآن	إعجاز القرآن
6	من الأبحاث المحدثة	التصوير في القرآن	التصوير الفني

134- ملاحظة: هذا الجدول يتغاضى عن الأنواع التي أدرجها أحد الكاتبين ضمن مبحث معيّن ولم يفرد لها مبحثا خاصا.

135- اعتمدت في تسمية النوع على كتاب البرهان للإمام الزركشي. أمّا ما لم أجد له نوعا في كتاب البرهان فقد أشرت إلى كونه من الأبحاث المحدثة.

136- هذا النوع يتضمّن أسماء القرآن فقط مع تعريفه أي أنّه يتضمّن ناحية واحدة مما تناوله المؤلفان.

الفصل الرابع

المبحث الأول: تأثر الكاتب بمن قبله وأثره فيمن جاء بعده

أولا: تأثره بمن قبله

سأكتفي بذكر الكتب التي تخص علوم القرآن -لكونها محل البحث- دون غيرها من الكتب الأخرى ككتب اللغة والحديث والأصول والعقيدة[137].

1. إعجاز القرآن للباقلاني.
2. إعجاز القرآن للرافعي.
3. البرهان في علوم القرآن للزركشي.
4. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.
5. تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة.
6. التصوير الفني لسيد قطب.
7. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للخطابي.
8. الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي.
9. مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح.
10. مناهل العرفان للزرقاني.

ثانيا: أثره في من جاء بعده

لم أقف على أسماء كتب أو مراجع ذكرت هذا الكتاب (من روائع القرآن) كأحد الكتب التي رجعت إليها[138]، باستثناء كتاب معايير القبول والرد[139]. إلا أنّ هذا لا يعني أنّ الكتاب لم يكن له تأثير فيمن جاء بعده؛ فالكتاب كما بيّنت أوّل البحث[140] إنّما ألف بداية لطلاب اللغة العربية وغيرهم من الدارسين والباحثين، ولا ريب في أنه قد كان له أثر كبير فيهم عبر السنوات الطويلة السابقة

137- اتبعت في ترتيب هذه الكتب الترتيب الهجائي.
138- قمت بعملية استقراء ناقص في عدد من كتب علوم القرآن وغيرها.
139- للدكتور عبد القادر الحسين: ص 51.
140- انظر ص: 11.

لما يتميّز به من وضوح العبارة وتيسير المعلومة.

المبحث الثاني: الكتاب ماله وما عليه

أولاً: إيجابيات الكتاب

يتميّز الكتاب بجملة من الأمور منها:

1. اشتماله -بالرغم من اختصاره- على أكثر أنواع علوم القرآن ذات الصلة الوطيدة باللغة العربية.
2. على الرغم من اختصار الكاتب إلا أنّه يمتاز بذكر الأمور التي يمكن أن يستعين بها طالب اللغة العربية أو القارئ العادي للوصول إلى الحقائق.
3. تصدُّر البحث في معظم الأحيان بتمهيد أو ملخص يبيّن مضمونه ويهيئ الفكر لاستقبال الفكرة بوضوح.
4. اعتماده في غالب المواضيع على الأحاديث الصحيحة، مع تخريجها.
5. مزجه بين الأسلوب الأدبي والأسلوب العلمي مع عدم طغيان أحد الجانبين على الآخر، الأمر الذي جعل الكتاب مشتملا على حقائق علمية بصياغة أدبية تبعد القارئ عن الملل، وهذا ما لا نجده في معظم الكتب.
6. مخاطبة الكاتب للقارئ في كثير من الأحيان الأمر الذي يشعره بأنّ الكاتب يشافهه مباشرة.
7. ابتعاد الكاتب عن الأمثلة الغامضة والكلمات الغريبة والشواهد غير المفهومة، وفي حال استخدامه إيّاها فإنّه كان يذكر شرحا وبيانا مرافقا للغريب منها.
8. الدقة والأمانة في النقل عن المراجع وعزو الأقوال إلى أصحابها.

ثانيا: المآخذ

كل الناس يؤخذ منه ويردّ عليه، فوجود الثغرات في بحث أو عمل ما - وهو أمر نسبي يختلف من شخص إلى آخر- أمر طبيعي يدلّ على الحقيقة البشرية التي لا يستطيع أحد أن يتخلّص منها وقد أوضح الدكتور رحمه الله هذا في مقدمة كتابه فقال: « فلئن وجدت أيها القارئ من مظاهر القصور؛ فذلك لأني

لم أستطع أن أتحرر من سمة النقص في ذاتي وليس لي من مطمع»[141].
فمآخذي على الكتاب هي:

1. عدم ذكره للتعريفات اللغوية بالرغم من كون الكتاب -كما بينت- لطلاب اللغة العربية بداية.
2. عدم ذكره لمسألة المعرّب ووجود الألفاظ الأعجمية في القرآن العربي بالرغم من كونها ذات أهمية وصلة مباشرة بالغرض الذي أُلّف الكتاب لأجله.
3. عدم تعرضه لشبهات المستشرقين إلا نادرا وباختصار، ولعلّ السبب في ذلك كون الكتاب غير موجّه لطلبة العلم الشرعي فحسب، بل موجه لطلبة كلية الآداب الذين قد يكونون غير معنيين بذلك، ولعلّ السبب كذلك تناول الكاتب لهذه المسائل في كتب أخرى كالسيرة النبوية وكتاب لا يأتيه الباطل.
4. عدم استقصائه لأقول العلماء في الكثير من المسائل الخلافية مكتفيا بذكر القول الراجح.
5. عدم ذكر المؤلف لرأيه في كثير من المسائل التي يعرضها.
6. عند مناقشته لمسألة من المسائل فإنّه رحمه الله كان في كثير من الأحيان لا يذكر الأدلة والبراهين.
7. عدم ذكره في معظم الأحيان لفواصل الآيات كما هو الحال في النصوص التي استخدمها في الدراسات التطبيقية.

المبحث الثالث: الأخطاء الطباعية

سأذكر الأخطاء الطباعية -وهي قليلة في الكتاب- ومن ثم أذكر التصويب لها، مشيرة إلى رقم الصفحة ورقم السطر.

الخطأ	الصواب	السطر	الصحيفة
يسمحأ	يسمح	السابع	5

141- من روائع القرآن: ص 10 بتصرف.

بني	بين	الثاني	17
الأخلاقي	الأخلاقية	الثامن	42
لا	لم	الخامس	70
أفرأيت من اتخذ إلهه هواه	﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: 23]	الأخير	99
ما معنى تحديدها بالسبعة ومتى حددت بهذا العدد:	ما معنى تحديدها بالسبعة. ومتى حددت بهذا العدد؟	الثاني عشر	124
الأمثال	القصة	العاشر	210

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين المعطي المتفضل:

بعد هذه الرحلة الطويلة في رحاب كتاب (من روائع القرآن) نخلص إلى نتائج عديدة نجملها فيما يلي:

1. التزم المؤلف رحمه الله إلى حدّ بعيد بالشرط الذي أخذه على نفسه في مقدمة كتابه، فقد أشبع كتابه بالقدر الذي يهم طلاب العربية وآدابها، وقد بدا ذلك جليا في الأبحاث التطبيقية التي حلل فيها بعض آيات القرآن الكريم.
2. وبالرغم من عناية هذا الكتاب بدارسي العربية وعلومها إلا أنه كان منهلاً يسع القرّاء على اختلاف اهتماماتهم.
3. شمل الكتاب جميع عناوين علوم القرآن المتداولة تقريبا، فلم يغفل منها جانبا، حتى كان كثيرا ما يذكر جانبا جزئيا ضمن جانب آخر يراه رئيسيا.
4. تمتع أسلوب المؤلف بوضوح الفكرة ودقة العبارة.
5. لم يكن الكتاب طويلا مملا ولا مختصرا مخلا، بل كان معتدلا في أداء المعلومة وإيصال المعنى.
6. لم يكن المؤلِّف مجرد ناقل بل كان ممحصا ومبينا لرأيه في كثير من الأحيان.

7. تبنى المؤلف بعض الأقوال على أنها الأقوال المسلَّمة في المسألة، وإن كان الأمر في كثير من الأحيان يحتمل خلافا وأكثر من وجهة نظر.

فهرس المصادر والمراجع

1. إتقان البرهان في علوم القرآن: الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس دار النفائس ط: 2، 1430هـ - 2009م.
2. الإتقان في علوم القرآن: العلامة الحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، د. ط، 1407هـ - 1987م.
3. البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث القاهرة، ط: 3، 1404هـ - 1984 م.
4. تاريخ جزيرة ابن عمر منذ تأسيسها حتّى الفتح العثماني: د. محمد يونس عندور، دار الفكر اللبناني بيروت، لبنان، ط: 1، 1990م.
5. تهذيب التهذيب: أحمد بن علي الشهير بابن حجر العسقلاني، تحقيق الشيخ عمر السلامي والشيخ علي بن مسعود، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط: 1، 1417 هـ - 1996 م.
6. تهذيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال شمس الدين أبي عبدالله محمد بن احمد بن عثمان بن قيماز الشهير بالذهبي. ت 748هـ تحقيق: غنيم عبّاس. أيمن سلامة، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط: 1، 1425هـ - 2004 م.
7. الجامع الصحيح للبخاري: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: ت 256 هـ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، القاهرة، ط: 1، 1400 هـ.
8. الجامع الصحيح سنن الترمذي: أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ت 279هـ تحقيق أحمد محمد شاكر، ط: 2، 1388هـ - 1988م.
9. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد بن أبي العماد الحنبلي ت: 1089 هـ ط: 1، 1998م، 1419 هـ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان
10. صحيح مسلم: الإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن حجاج النيسابوري ت 261، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، مطبعة بيت الأفكار الدولية، د. ط، 1419 هـ - 1998 م.
11. طبقات المفسرين للحافظ شمس الدين بن محمد بن علي بن احمد الداوودي

ت 945، د. ط، د. ت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
12. مباحث في علوم القرآن: الدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، ط: 5، 1968م.
13. مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، مكتبة وهبة، ط: 11، 2000م.
14. المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين: محمد بن حبَّان بن أبي حاتم التميمي ت: 253هـ دار المعرفة بيروت، لبنان، د. ط، د. ت.
15. مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: الدكتور عدنان زرزور، دار القلم، دمشق، الدار الشاميّة، بيروت، ط: 2، 1419هـ - 1998م.
16. المدخل إلى دراسة القرآن الكريم: الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة، دار الجيل، بيروت، ط: 2، 1412هـ - 1993م.
17. المستدرك على الصحيحين: الإمام الحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري، ط: 1، 1417هـ - 1997م.
18. معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني: الدكتور عبد القادر محمد الحسين، تقديم الدكتور علي جمعة، دار الغوثاني، دمشق، ط: 1، 1428هـ - 2008م.
19. معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار: شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت 748 هـ تحقيق: طيار قولاج، مطبعة استانبول، ط: 1، 1416هـ - 1995م
20. مناهل العرفان: الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، ط: 1، 1415 هـ - 1995م.
21. من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله ﷻ: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفارابي للمعارف، ط. الأخيرة، 1427هـ - 2007 هـ.
22. هذا والدي: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط: 12، 1431هـ - 2010م.
23. الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي ت 746 هـ تحقيق: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، ط: 1، 1420هـ- 2000م.

الدوريات

24. مجلة جامعة دمشق، المجلد الثاني عشر، العدد الأول، 1996 م.

مواقع الإنترنت

25. www. Bouti. net.
26. www. ahgowthany.com